شرح الأصول الثلاثة

أملاه خادم العلم وأهله العبد الفقير إلى ربه:

أحمد بن الحافظ الشنقيطي

عامله الله ووالديه ومشايخه بعفوه ولطفه وستره الجميل

www.im-madina.com ralmahdra@gmail.com https://t.me/ttasal

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أمابعد:

❖ مسألة: لماذا نتعلم العقيدة؟

- لأن العقيدة أصل الدين وأساس الملّة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [سورة آل عمران:٨٥].
- لأن سلامة العقيدة شرط في صحة العمل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [سورة الزمر:٦٥].
- لأن صلاح العقيدة من أسباب عصمة الدم والمال، قال رسول الله ﷺ:

«أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله» (١).

- لأن صلاح العقيدة شرط لحصول النصر والتمكين، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [سورة النور:٥٥].
- لأن العقيدة حق الله الذي أوجبه على عباده، كما قال ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «**أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟**» قلت الله ورسوله أعلم، قال: «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً**» (٢).

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

- لأن الدعوة إلى العقيدة وظيفة جميع الأنبياء والرسل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة النحل:٣٦].
- لأن صحة العقيدة من أسباب النجاة من النار، قال ﷺ: «**فإن الله قد حرّم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**» (١).
- لأن صحة العقيدة من أسباب مغفرة الذنوب، قال تعالى في الحديث القدسي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تعالى: يا ابن آدم! إنك ما دعوتني ورجوتني؛ غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم! لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني؛ غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم! إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا؛ لأتيتك بقرابها مغفرة**» (٢).
- لأن العقيدة الصحيحة أول ما يجب الدعوة إليه، كما في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، عندما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن قال: «**إنك ستأتي قوماً أهل كتاب فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله...**» (٣).

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الترمذي رحمه الله في كتاب الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده، «٣٥٤٠»، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

(٣) متفق عليه.

- لأنه لا صلاح لآخر هذه الأمة إلا بـما صلح به أولـها، ومعلوم أن صلاح أولـها كان بصلاح العقيدة، قال الإمام مالك ﷺ: «لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بـما صلح به أولها» [(١)].
- لأن أجر أهل التوحيد لا ينقطع، وليس له حد في الآخرة، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ۝٦﴾ [سورة التين:٦]، قال ابن عباس ﷺ: ﴿غَيۡرُ مَمۡنُونٖ﴾: أي «غير منقوص ولا مقطوع» [(٢)]، وقال مجاهد ﷺ: «غير محسوب»، وقال القرطبي ﷺ: «﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: الذين صدقوا في شهادة أن لا اله الله وأن محمداً رسول الله، ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: أدّوا الفرائض المفروضة عليهم، ﴿فَلَهُمۡ أَجۡرٌ﴾ أي: ثواب، ﴿مَمۡنُونٖ﴾ أي: غير منقوص ولا مقطوع، يقال: مننت الحبل: إذا قطعته» [(٣)].
- لأن أهل التوحيد الخالص هم خير عباد الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧﴾ [سورة البينة:٧]، قال أبو جعفر بن جرير الطبري ﷺ: «إن الذين آمنوا بالله ورسوله محمدٍ ﷺ، وعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء، وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأطاعوا الله فيما أمر ونهى؛ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾، أي: من فعل ذلك من الناس فهم خير البرية» [(٤)].
- أن الله ﷻ يجعل لأهل التوحيد مَحبةً خاصة في قلوب الناس، قال تعالى:

---

(١) الاعتصام للشاطبي ت الشقير والحميد والصيني «٢/ ١١٨»: قال المحقق: د سعد بن عبد الله آل حميد: لم أجده بهذا اللفظ، والظاهر أن المصنف عبَّر بالمعنى عما اشتهر عن الإمام مالك ﷺ من قوله: «لا يصلح آخر هذا الأمر إلا ما أصلح أوله»، وهذا ينسب إليه مباشرة كما في **منهاج السنة** «٢/ ٤٤٤» وغيره.

بينما أسنده ابن عبد البر في التمهيد «٢٣/ ١٠» بسند صحيح من طريق أشهب، عن الإمام مالك قال: كان وهب بن كيسان يقعد إلينا، ولا يقوم أبداً حتى يقول لنا: اعلموا أنه لا يُصلح آخر هذا الأمر إلا ما أصلح أوله. قلت: يريد ماذا؟ قال: يريد في بادئ الإسلام، أو قال: يريد التقوى.

(٢) انظر: تفسير الطبري ﷺ «١٥٨/١٥».

(٣) انظر: تفسير القرطبي ﷺ «١٧٧/٢٢».

(٤) انظر: تفسير الطبري ﷺ «٣٣٤/١٥».

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾ [سورة مريم:٩٦]، قال ابن عباس ﷺ: «أي مَحبةً في قلوب الناس» (١).

- أن الله ﷻ يدافع عن أهل التوحيد، قال تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨﴾ [سورة الحج:٣٨]، قال أبو جعفر الطبري ﷺ:

«يقول تعالى ذكره: إن الله يدفع غائلة المشركين عن الذين آمنوا بالله وبرسوله» (٢).

- لأننا لم نخلق إلا لعبادة الله ﷻ وتحقيق التوحيد، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [سورة الذاريات:٥٦]، قال أبو جعفر الطبري ﷺ:
- «أولى القولين في ذلك بالصواب: القول الذي ذكرناه عن ابن عباس ﷺ، وهو: ما خلقت الجن والإنس إلا لعبادتنا والتذلل لأمرنا» (٣).
- أن ترك تعلّم العقيدة من الجهل والسفه، قال تعالى:

﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ﴾ [سورة البقرة:١٣٠]، قال أبو جعفر الطبري ﷺ: «معنى الكلام: وما يرغب عن ملة إبراهيم الحنيفية إلّا سفيه جاهل بموضع حظ نفسه فيما ينفعها ويضرّها في معادها» (٤).

---

(١) انظر: تفسير الطبري ﷺ «١٧٠/٩».

(٢) انظر: تفسير الطبري ﷺ «٢١٧/١٠».

(٣) انظر: تفسير الطبري ﷺ «١٣/١٨».

(٤) انظر: تفسير الطبري ﷺ «١/٧٣٤».

❖ مسألة: ما هو الفرق بين العقيدة والتوحيد؟

- أن العقيدة أعمّ من التوحيد.
- أن التوحيد متعلّق بكل ما هو من خصائص الله ﷻ، كتوحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.
- أن التوحيد يدور حول تقرير أركان الإسلام، وتصحيحها.
- أن التوحيد مأخوذ من الإفراد فلا يصلح معه شريك، وإذا وجد شريك فلا يسمّى بتوحيد، بل يسمّى في اللغة شرك.
- أن العقيدة كل ما ينطوي عليه باطن العبد من حق أو باطل.
- أن العقيدة تدور حول تقرير أركان الإيمان، وتصحيحها.
- أن العقيدة تتناول مسائل متعلقة بالإيمان، كالإيمان بحب الصحابة والنُبوّات والبعث والنشور وغير ذلك.

❖ مسألة: ما هو أوّل واجب على كل مسلم؟

أوّل واجب على كل مسلم هو: **العلم بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله**، والدليل قوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [سورة محمد:١٩]، وقوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾[سورة طه: ١٣-١٤]، فبدأ بالتوحيد قبل الصلاة. وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**»(١).

فصحّة النهايات دليل على صحّة البدايات، وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنك تأتي قوماً من أهل كتاب فيلكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله...**»(٢).

---

(١) رواه أبو داود رحمه الله أول كتاب الجنائز، باب في التلقين، «٣١١٦»، قال الشيخ الألباني رحمه الله: صحيح.

(٢) متفق عليه.

قال الإمام البيهقي ﷺ في كتاب الاعتقاد: «باب أول ما يجب على البالغ معرفته والإقرار به. قال الله لنبيّه محمد ﷺ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [سورة محمد:١٩]، وقال له ولأمّته: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ﴾ [سورة الأنفال:٤٠]، وقال تعالى: ﴿فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٤﴾ [سورة هود:١٤]، فوجب بالآيات قبلها معرفة الله تعالى وعلمه، ووجب بهذه الآيات الاعتراف به والشهادة له بما عرفه ودلت السنة على مثل ما دل عليه الكتاب»[(١)].

قال ابن أبي العزّ ﷺ في شرحه على الطحاوية: «ولهذا كان الصحيح أن أول واجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله، بل أئمة السلف متفقون أنّ أول ما يؤمر به العبد: الشهادتان»، وقال ﷺ: «فالتوحيد أول ما يُدخل به الإسلام وآخر ما يُخرج به من الدنيا، وعن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**»، وهو أول واجب وآخر واجب[(٢)].

❖ مسألة: هل متن الأصول الثلاثة مشتمل على أصول الدين، ومن قرأه لا يحتاج إلى غيره؟

الجواب من وجهين:

الوجه الأول: أن ما ذكره الشيخ من صميم الدين ومن أصوله الـمُجمَع عليها، وهذا واضح في استنباط الأصول الثلاثة من حديث البراء بن عازب، الذي جاء فيه ذكر أسئلة القبر الثّلاثة، وأيضاً استنبطها من حديث جبريل الطويل الذي اشتمل على مراتب الدين الثلاثة.

عن البراء بن عازب ﷺ قال: «كنَّا في جنازةٍ في بقيعِ الغرقدِ، فأَتانا النبيُّ ﷺ، فقعدَ وقعَدنا حولَهُ، كأنَّ علَى رؤوسِنا الطَّيرَ، وهو يُلحَدُ لهُ، فقال: «**أعوذُ باللَّهِ من عذابِ القبرِ، ثلاثَ مرَّاتٍ، ثم قالَ: إنَّ العبدَ المؤمنَ إذا كانَ في إقبالٍ منَ الآخرةِ وانقطاعٍ منَ الدُّنيا؛**

(١) كتاب الاعتقاد: «١»، طبعة دار البحوث العلمية والإفتاء.

(٢) شرح الطحاوية «٧٧-٧٨».

نزلَت إليْهِ الـملائِكةُ، كأنَّ علَى وجوهِهمُ الشَّمسُ، معَهم كفنٌ من أكفانِ الـجنَّةِ، وحَنوطٌ من حَنوطِ الـجنَّةِ، فجلَسوا منْهُ مدَّ البصرِ ثـمَّ يـجيءُ ملَكُ الـموتِ حتَّـى يـجلِسَ عندَ رأسِهِ فيقولُ: يا أيَّتُها النَّفسُ الطَّيِّبةُ! اخرُجي إلى مغفِرةٍ منَ اللَّهِ ورِضوانٍ، قالَ: فتَخرجُ تسيلُ كما تسيلُ القطرةُ منَ فـي السِّقاءِ فيأخذُها، فإذا أخذَها لـم يدعوها فـي يدِهِ طرفةَ عيـنٍ حتَّـى يأخُذوها فيَجعلوها فـي ذلِكَ الْكفَنِ وذلِكَ الـحنوطِ، ويـخرجُ منْها كأطيبِ نفحةِ مِسْكٍ وُجِدَت علَى وجهِ الأرضِ، قالَ: فيَصعدونَ بِـها فلا يـمرُّونَ بِـها، يعنـي علَى ملأٍ منَ الـــملائِكةِ إلَّا قالوا: ما هذِهِ الرُّوحُ الطَّيِّبةُ؟ فيقولونَ: فلانٌ ابنُ فلانٍ، بأحسـنِ أسـمائِهِ الَّتي كانوا يسمُّونَهُ بـها فـي الدُّنيا، حتَّى ينتَهوا بِـها إلى السَّماءِ، فيستفتِحونَ لهُ فيُفتَحُ لهُ، فيشيِّعُهُ من كلِّ سـماءٍ مقرَّبوها إلـى السَّماءِ الَّتـي تليها حتَّـى ينتَهى بِـها إلـى السَّماءِ الَّتـــي فيها اللهُ، فيقولُ اللَّهُ ﷻ: اكتُبوا كتابَ عبدي فـــي علِّيِّيـــنَ وأعيدوهُ إلـــى الأرضِ، فإنِّي منْها خلقتُهم، وفيها أعيدُهم، ومنْها أخرجُهم تارةً أخرى. قالَ: فتعادُ روحُهُ فـــي جسدِهِ، فيأتيَهُ ملَكانِ، فيُجلسانِهِ، فيقولانِ لهُ: مَن ربُّكَ؟ فيقولُ ربِّـيَ اللهُ، فيقولانِ لهُ: ما دينُكَ؟ فيقولُ: دينـــــيَ الإســلامُ، فيقولانِ لهُ: ما هذا الرَّجلُ الَّذي بُعِثَ فيكم؟ فيقولُ: هوَ رســـولُ اللَّهِ، فيقولانِ لهُ: ما عِلمُكَ؟ فيقولُ: قرأتُ كتابَ اللَّهِ فآمنتُ بهِ وصدَّقتُ، فينادي منادٍ منَ السَّماءِ أن صدقَ عبدي، فأفرِشوهُ منَ الـــجنَّةِ، وافتحوا لهُ بابًا إلى الـجنَّةِ، قال: فيأتيهِ من رَوحِها وطيبِها ويُفسَحُ لهُ في قبرِهِ مدَّ بصرِهِ، قال: ويأتيهِ رجلٌ حسنُ الوجْهِ، حسنُ الثَّيابِ، طيِّبُ الرِّيحِ، فيقولُ: أبشِر بالَّذي يسرُّكَ، هذا يومُكَ الَّذي كنتَ توعدُ، فيقولُ لهُ: من أنتَ؟ فوجْهكَ الوجْهُ لَّذي يـجيءُ بالـخيـرِ، فيقولُ: أنا عملُكَ الصَّالـحُ، فيقولُ: يا ربِّ أقم السَّاعةَ، حتَّـى أرجعَ إلـى أَهلي ومالـي قالَ: وإنَّ العبدَ الْكافرَ إذا كانَ فـــي انقطاعٍ منَ الدُّنيا، وإقبالٍ منَ الآخرةِ، نزلَ إليْهِ منَ السَّـماءِ ملائِكةٌ سودُ الوجوهِ، معَهمُ المسوحُ، فيجلِسونَ منْهُ مدَّ البصرِ، ثمَّ يجيءُ ملَكُ الموتِ، حتَّـــى يـــجلسَ عندَ رأسِهِ فيقولُ: أيَّتُها النَّفسُ الـــخبيثةُ! اخرُجي إلـــى سخطٍ منَ اللَّهِ وغضبٍ، قال: فتتَفرَّقُ في جسدِهِ فينتزعُها كما يُنتَزعُ السَّفُّودُ منَ الصُّوفِ المبلولِ،

فيأخذُها، فإذا أخذَها، لم يدَعوها في يدِهِ طرفةَ عينٍ حتَّى يجعَلوها في تلْكَ المُسوحِ، ويخرجُ منْها كأنتنِ ريحٍ خبيثةٍ وُجِدت علَى وجْهِ الأرضِ، فيصعدونَ بِها، فلا يمرُّونَ بِها علَى ملإٍ منَ الملائِكةِ إلَّا قالوا: ما هذا الرُّوحُ الخبيثُ؟ فيقولونَ: فلانٌ ابنُ فلانٍ، بأقبحِ أسمائِهِ الَّتي كانوا يسمُّونه بِها في الدُّنيا، حتَّى يُنتَهى بهِ إلى السَّماءِ الدُّنيا فيُستفتَحُ لَه فلا يُفتحُ لَه، ثمَّ قرأَ رسولُ اللَّهِ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [سورة الأعراف:٤٠]، **فيقولُ اللَّهُ ﷻ: اكتبوا كتابَهُ في سجّينٍ في الأرضِ السُّفلى، فتطرحُ روحُهُ طرحاً،** ثمَّ قرأَ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [سورة الحج:٣١]، **فتعادُ روحُهُ في جسدِهِ، ويأتيهِ ملَكانِ، فيجلسانِهِ فيقولانِ لهُ: من ربُّكَ؟ فيقولُ: هاه! هاه! لا أدري، فيقولانِ لهُ: ما هذا الرَّجلُ الَّذي بعثَ فيكم؟ فيقولُ: هاه! هاه! لا أدري، فينادي منادٍ منَ السَّماءِ أن كذبَ فأفرشوهُ منَ النَّارِ! وافتحوا لهُ باباً إلى النَّارِ! فيأتيهِ من حرّها وسمومِها، ويضيَّقُ عليْهِ قبرُهُ حتَّى تختلفَ أضلاعُهُ، ويأتيهِ رجلٌ قبيحُ الوجْهِ، قبيحُ الثِّيابِ، منتنُ الرِّيحِ، فيقولُ: أبشر بالَّذي يسوؤُكَ، هذا يومُكَ الَّذي كنتَ توعدُ، فيقولُ: من أنتَ؟ فوجْهكَ الوجْهُ الَّذي يجيءُ بالشَّرِّ، فيقولُ: أنا عملُكَ الخبيثُ، فيقولُ: ربِّ لا تقم السَّاعةَ»**[1].

عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ قال: «بيْنَما نَحْنُ عِنْدَ رَسولِ اللهِ ﷺ ذاتَ يَوم، إذْ طَلَعَ علَيْنا رَجُلٌ شَدِيدُ بَياضِ الثِّيابِ، شَدِيدُ سَوادِ الشَّعَرِ، لا يُرَى عليه أثَرُ السَّفَرِ، ولا يَعْرِفُهُ مِنَّا أحَدٌ، حتَّى جَلَسَ إلى النبيّ ﷺ، فأسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إلى رُكْبَتَيْهِ، ووَضَعَ كَفَّيْهِ علَى فَخِذَيْهِ، وَقالَ: يا مُحَمَّدُ! أخْبِرْني عَنِ الإسْلامِ. فقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «**الإسْلامُ أنْ تَشْهَدَ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وأنَّ مُحَمَّداً رَسولُ اللهِ، وتُقِيمَ الصَّلاةَ، وتُؤْتِيَ الزَّكاةَ، وتَصُومَ رَمَضانَ، وتَحُجَّ البَيْتَ إنِ اسْتَطَعْتَ إلَيْهِ سَبِيلاً**». قالَ: صَدَقْتَ، قالَ:

---

(١) أخرجه الإمام أحمد «١٨٥٣٤»، وأبو داود «٤٧٥٤»، والنسائي «٢٠٠١» والطبري في «مسند عمر» «٧٢٠»، والبيهقي في «شعب الإيمان» «٣٩٥» باختلاف يسير ﷺ جميعاً.

فَعَجِبْنا له يَسْأَلُهُ، ويُصَدِّقُهُ، قالَ: فأخْبِرْني عَنِ الإيمانِ. قالَ: «**أنْ تُؤْمِنَ باللَّهِ، ومَلائِكَتِهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، والْيَومِ الآخِرِ، وتُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ**»، قالَ: صَدَقْتَ. قالَ: فأخْبِرْني عَنِ الإحْسانِ، قالَ: «**أنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأنَّكَ تَراهُ، فإنْ لَمْ تَكُنْ تَراهُ فإنَّه يَراكَ**»، قالَ: فأخْبِرْني عَنِ السَّاعَةِ، قالَ: «**ما المَسْؤُولُ عَنْها بأعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**». قالَ: فأخْبِرْني عن أمارَتِها، قالَ: «**أنْ تَلِدَ الأمَةُ رَبَّتَها، وأنْ تَرَى الحُفاةَ العُراةَ العالَةَ رِعاءَ الشَّاءِ يَتَطاوَلُونَ في البُنْيانِ**»، قالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيا، ثُمَّ قالَ لِي: «**يا عُمَرُ أتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟**» قُلتُ: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: «**فإنَّه جِبْرِيلُ أتاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**»» (١).

الوجه الثاني: هناك بعض الأصول التي لم يذكرها الشيخ ﷺ لكنّها داخلة تحت هذه الأصول الثلاثة.

❖ الطريقة التأصيلية المختارة في تعليم التوحيد والعقيدة:

في التوحيد: «**الأصول الثلاثة**»، ثم «**القواعد الأربع**»، ثم «**نواقض الإسلام**»، ثم «**كتاب التوحيد**»، ثم كتاب «**كشف الشبهات**». والحكمة من ذلك: أنك إذا تعلمت «**الأصول الثلاثة**»؛ تعلمت أمور الدين، وعرفت التوحيد الذي أمر الله ﷻ به. وإذا تعلمت «**القواعد الأربع**»؛ عرفت الشرك معرفةً تامّةً حتى لا تقع فيه. وإذا تعلمت «**نواقض الإسلام**»؛ عرفت ما ينقض التوحيد ويبطله. وإذا درست «**كتاب التوحيد**»؛ عرفت أدلّته، وما يقدح فيه، وما يقدح في كماله، وعرفت الوسائل والذرائع التي تُتّقى لبقاء سلامة التوحيد. وإذا درست «**كشف الشبهات**»؛ كنت من أحسن الناس في كشفها وردّها بإذن الله تعالى، ومتن «**مسائل الجاهلية**» حتى تسلم من جميع صفات الجاهلية، ويكون توحيدك خالص لله ﷻ.

وفي العقيدة: «**لامية الاعتقاد**» لشيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ، ثم «**حائية ابن أبي داود**» ﷺ، ثم «**العقيدة الواسطية**» لشيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ.

---

(١) متفق عليه.

مدخل الأصول الثلاثة

قد أُلِّفَت هذه الرسالة الـمباركة بطلب من الإمام مـحمد بن عبد العزيز آل سعود ﷺ للشيخ محمد بن عبد الوهاب ﷺ[1].

❖ اشتملت هذه الرسالة على مواضيع مهمة:

- بيان المنهج الصحيح فيما يجب على العبد من العلم والعمل والدعوة والصبر.
- توحيد الربوبيّة.
- توحيد الألوهيّة.
- عقيدة الولاء والبراء.
- ملّة إبراهيم عليه السلام، القائمة على الحنيفية السمحة.
- أعمال القلوب.
- مراتب الدين الثلاثة: «**الإسلام، والإيمان، والإحسان**».
- معرفة الله ﷻ.
- معرفة النبي ﷺ.
- الهجرة.
- البعث والنشور.
- الكفر بالطاغوت.
- الجهاد في سبيل الله.

وقد ألّفها المصنف ﷺ ليحفظها العامّةُ ويتفقهوا فيها جيّداً، وكان سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم ﷺ يأمر أئمة المساجد أن يقرؤوها ويشرحوها للعامّة، لذلك تجد العامّيّ من أهل تلك البلاد يحفظ الأصول الثلاثة، والقواعد الأربع، ونواقض الإسلام، وكشف الشبهات، كما يحفظ اسمه، وهذه من بركة دعوة هذا الإمام الجليل ﷺ.

---

(١) انظر: الدرر السنية «١/١٤٦».

وهذه الرسالة تعتبر من أهمّ كتب العقيدة، وأصل من أصول الإسلام، وهذه الرسالة مشتملة على فقه التوحيد، لأنّها تتكلّم عن حقيقة الدين الذي أمر الله به، ولذلك يصح تسميتها: «بعمدة المبتدئين ونهاية الطالبين».

اعتنى المصنّف ﵀ في هذه الرسالة بذكر قواعد وأسسِ أهلِ السنّة والجماعة في توحيدهم لله ﷻ، وسار على منهج السلف في تقرير أمور العقيدة بالبدء بالكتاب والسنة وآثار السلف الصالح، وهذا يقود قطعاً إلى سلامة المنهج.

❖ مؤلّف هذه الرسالة:

«هو الإمام العالم العامل، الحبر العلم، إمام الأئمة، مفتي الأمة، محي السنة، قامع البدعة، المجتهد الحافظ، الثقة النبيل، الأصولي المحدث الجليل، مجدد الدعوة الإسلامية، والملة الحنيفية، العالم الرباني والصديق الثاني، بدر العلوم، وحيد الزمان، شرف الإسلام وفريده، علماً وعملاً، ومعرفة وشجاعة، وذكاء، وتنويراً إلهيا، وكرماً ونصحاً للأمة.

أشرقت شمس فضائله في الأقطار، وعلت مكارمه على كل منار، أجمع أئمة الدين في زمانه، وبعد زمانه، على تقدمه في شأنه، ونبله وعلو مقامه، ومكانه، خاتمة المجتهدين، وبقية أكابر السلف الماضين.

أصدق الناس وأصحهم علماً وعزماً، وأنفذهم وأعلاهم، في الانتصار للحق والقيام به، وأكملهم اتباعاً لسنة النبي ﷺ، سيف الله على المبتدعين والمرتدين، وكاشف عورات المشبهين المضلين، مشيد أعلام الملة والدين.

أبو علي، شيخ الإسلام، قدوة الأنام الشيخ: محمد بن عبد الوهاب بن الشيخ العالم مفتي نجد سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف بن عمر بن معضاد بن ريس بن زاخر بن محمد بن علوي بن وهيب بن قاسم بن موسى بن مسعود بن عقبة بن سنيع بن نهشل بن شداد بن زهير بن شهاب بن ربيعة بن أبي سود بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم» [(١)].

من قبيلة بني تميم الذي أخبر الرسول ﷺ أنهم أشد الناس على الدجال [(٢)].

وهذا النسب فيه منقبة من وجوه ثلاثة:

الأول: حيث يلتقي بنسب النبي ﷺ في إلياس بن مضر.

الثاني: أنه عربي قح.

الثالث: أنه من ولد إسماعيل عليه السلام.

ولد عام: «**١١١٥هـ**» في مدينة العيينة من بلاد نجد في الجزيرة العربية، في بيت علم وفضل.

وتوفي عام: «**١٢٠٦هـ**» في بلدة العيينة قرب الرياض، وعمره «**٩٢**» سنة قضاها في العلم والتعليم والدعوة إلى توحيد الله ﷻ.

---

(١) انظر: الدرر السنية «١٦/٣١٤».

(٢) أخرجه الإمام البخاري رحمه الله «٢٥٤٣».

التسمية بالأصول الثلاثة

ألف شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ﷺ هذا المتن النفيس عدّة مرات، مرّةً باسم: «**الأصول الثلاثة**»، ومرّةً باسم: «**ثلاثة أصول**»، وهي الرسالة المستقلّة في كتاب «**الجامع الفريد**»، ومرّةً باسم: «**أصول الدين**» ومرة باسم: «**تلقين أصول العقيدة للعامة**».

والذي يظهر أن المقدمات الثلاثة التي في أول الأصول الثلاثة؛ كلها من تأليف شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ﷺ، لأن الطبعة التي أصدرتها جامعة الإمام محمد بن سعود ﷺ تحت إشراف جمع من العلماء والباحثين؛ ذكروا متن الأصول الثلاثة بهذه الطريقة، وفي الدرر السنية جاءت مذكورة بهذه الطريقة أيضاً [1].

(١) انظر: الدرر السنية «١/١٢٥».

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم رحمك الله أنّه يجب علينا تعلّم أربع مسائل: الأولى: **العلم**، وهو: معرفة الله، ومعرفة نبيّه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلّة، الثانية: **العمل به**، الثالثة: **الدعوة إليه**، الرابعة: **الصبر على الأذى فيه**. والدليل قوله تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ [سورة العصر:١-٣]. قال الشافعي رحمه الله: «لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم». وقال البخاري رحمه الله: «باب: العلم قبل القول والعمل»، والدليل قوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [سورة محمد:١٩]، فبدأ بالعلم قبل القول والعمل.

قال المصنف رحمه الله: «**بسم الله الرحمن الرحيم**»: جاء في بعض الرسائل ذكر البسملة وفي البعض الآخر لم تذكر البسملة، والصحيح أنها ذكرت، لأنّ البسملة سنّة قوليّة وفعليّة عند كتابة الرسائل والمُكاتَبات، ولم يصح في البسملة في باب الرسائل والمُكاتَبات إلّا حديثٌ أخرجه البخاري في جامعه الصحيح في «**خبر إرسال النبي ﷺ كتاباً إلى هرقل عظيم الروم**»، ومسلم في الجهاد والمغازي.

وأما حديث أبو هريرة رضي الله عنه المشهور: «**كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر أو أجذم أو أقطع**» هذا الخبر فيه ضعف، وعلّة ضعفه: اضطراب المتن، ووهاء السند، وأجمع العلماء على ضعفه، كالزيلعي، والعراقي، وابن حجر، والإمام أحمد، ويحيى بن معين، وأبو زرعة، والألباني رحمهم الله.

وأوّل ما نزل من القرآن الكريم: **البسملة**، قال تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ [سورة العلق:١]، وكما في رسالة سليمان عليه السلام لبلقيس: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠﴾ [سورة النمل:٣٠]، وكما جاء في كتاب الله عز وجل أنّ نوحا عليه السلام عندما ركب في السفينة: ﴿وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرِىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٤١﴾ [سورة هود:٤١].

وقال ابن حجر والماوردي ﷺ: «يُستحب الإتيان بها عند الشروع في الأفعال»، وفي الحديث عن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فقضي بينهما ولد؛ لم يضره**»[1]، وبوب عليه الإمام البخاري ﷺ بقوله: «**باب التسمية على كل حال وعند الوِقاع**»، قال ابن بطال ﷺ: «**وفيه أن التسمية عند ابتداء كل عمل مستحبة**»[2]، وكما جاء في رسالة أبي بكر الصديق للمرتدين التي ذكرها أصحاب السير.

البسملة: اسم منحوت، وهذا فنّ من فنون اللغة العربية، يختصرون الكلمة الطويلة فيجعلونها في جملة واحدة، كالحوقلة «**فهي منحوتة من: لا حول ولا قوة إلا بالله**»، والحمدلة «**منحوتة من: إن الحمد لله**»، والصلولة «**منحوتة من: اللهم صل وسلّم على نبيّنا محمد**»، والحيعلة «**منحوتة من: حيّ على الصلاة**».

والبسملة يؤتى بها: للتبرك، والتعبد، والاستعانة. وفيها: البراءة من الحول والقوة، وطلب النصرة والتأييد، وإثبات العبادة لله وحده، ونفي استحقاقها عمّن سواه، وفيها: سؤال الله ﷻ بأسمائه وصفاته كلّها، وفيها: ردّ على القدريّة والجبريّة والملاحدة النفاة، فإذا كان ليس لله علم ولا قدرة ولا مشيئة، إذاً لماذا يطلب العبد المعونة من الله بقوله بسم الله؟ فإن ذلك يتنافى مع الحسّ والذوق والعقل والنقل، وفيها: قوّة لا تضاها ولا تقاوم، وفيها: نصر وتمكين خفي لا يعلم بذلك الخفاء إلا الله وحده، وفيها: شفاء من الأمراض العضوية والمعنوية، وفيها: اتّباع لما جاء في القرآن والسنّة، وفيها: بيان أنّ للعبد مشيئة بعد مشيئة الله ﷻ، وفيها:

---

(١) متفق عليه.

(٢) شرح صحيح الإمام البخاري ﷺ «١/٢٣٠».

إثبات تـــمام القدرة والتصـرف لله وحده لا شـريك له، فهي نور، وبركة، وشـريعة، وهدى، وبصيـرة، ويقيـن، وشفاء، ورقية، ودواء، وسبب شرعي، واستعانة، واستغاثة، ودعاء، وتوسّل، ووسيلة، وسلاح، وقوّة، وعزيـــمة، وفتح، وتيسيـــر، وتوحيد، وعبادة، وقُوت للقلوب، وقد أُلفت فيها كتب ومصـنفات، من أشـهرها: كتاب أبو شـامة الـــمقدسـي، وقام باختصـاره الحافظ الذهبي ﷺ، وكذلك ألّف فيها كتابا الكافيجي.

ومن التأصيل العلمي الذي لا بد منه لطالب العلم: معرفة أنّ العلماء ﷺ في حديثهم عن البسملة يبحثون في ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: حكم البسملة عند قراءة القرآن، وهذا محلّه كتب الفقه والتفسير.

المسألة الثانية: ذكر البسملة عند استفتاح السور، وهذا أيضا محلّه كتب الفقه والتفسير.

المسألة الثالثة: البسملة عند كتابة الكتب، وجمهور العلماء على أنها مستحبّة.

قال الإمام القرطبـــي ﷺ: «**اتفق العلماء قاطبةً على أنّ من عادة العلماء أن يبدؤا كتبهم بالبسملة**»[1]، وهذا الذي ذهب إليه الإمام ابن حجر والماوردي ﷺ وغيرهم من العلماء.

قال المصنف ﷺ: «**اعلم**»: فعل أمر مجزوم بالسكون للدلالة على أهميّة ما يذكر ويلقى، وأنه مقطوعٌ به، ويُستخدم هذا الفعل للتنبيه والتذكير، وهذا أسلوب معلوم ومعروف في لغة العرب، قال تعالـــى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ﴾ [سورة الحديد:٢٠]، وقال تعالـــى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [سورة محمد:١٩]، ويأتي هذا الفعل بصيغة المفرد والجمع، ولا مثنى له.

قال الـمصنف ﷺ: «**رحـمك الله**»: هذه جـملة دعائيّة يؤتى بـها للتلطّف بالـمخاطب، ومعاني الرحـمة كثيـرة، من أجـمعها: أن يتولّـى الله رحـمتك، ويقال أيضاً «**رحـمك الله**»، أي: أفاض وأسبغ وأهال عليك نعمه ورحماته الظاهرة والباطنة.

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ﷺ «١/١٥٠».

والرحمة مقدمة على العلم، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [سورة غافر:٧]، وقال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢﴾ [سورة الرحمن:١-٢]، وقال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه:٥]، وإذا اجتمعت الرحمة مع المغفرة تكون المغفرة لما مضى، والرحمة للحاضر والمستقبل مع الستر.

والأصل في التعليم أن يكون بالرفق واللين واللطف، قال تعالى: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۝٤٤﴾ [سورة طه:٤٣-٤٤]، وأن يكون المعلّم رحيماً بالمدعوّين، بل شديد الرحمة بهم، قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦﴾ [سورة الكهف:٦]، وقال تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ [سورة الشعراء:٣]، وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ: أنّ رسول الله ﷺ قال: «**الراحمون يرحمهم الرحمن**»[(١)].

قال المصنف ﷺ: «**أنه يجب علينا**»: شرع المصنف ﷺ في ذكر حكم تعلّم هذه المسائل الأربع، وبيّن ﷺ أنّ حكمها **الوجوب**.

قال المصنف ﷺ: «**تعلم أربع مسائل**»: «**تعلّم**» فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه: الضمة الظاهرة على آخره، والفعل المضارع عند الأصوليين يفيد الاستمرار مع المداومة والملازمة، وهذا يدلّ على أهميّة تعلم العقيدة إلى الموت، فإن تعلّمها لا ينتهي ولا ينقطع، فإنّ النبي ﷺ مكث في مكة ثلاثة عشر سنة يدعوا إلى التوحيد، وبعد أن ذهب إلى المدينة نزل عليه قوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [سورة محمد:١٩]، وبعد حجة الوداع، وقبل أن ينتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى نزل جبريل عليه السلام على النبي ﷺ ومعه صحابته الأخيار يعلمهم الإسلام، والإيمان، والإحسان، وبعد أن ذهب جبريل قال النبي ﷺ:

---

(١) رواه أبو داود ﷺ في كتاب الأدب، باب في الرحمة، «٤٩٤١»، قال الشيخ الألباني ﷺ: صحيح. ورواه الترمذي ﷺ في كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في رحمة المسلمين، «١٩٢٤»، قال الشيخ الألباني ﷺ: صحيح.

«**هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم**» [1]، وهذا بعد ثلاث وعشرون سنة من النضال والكفاح عن هذه العقيدة، وذلك لأهميّة تكرار تعلمها إلى الموت.

والمسائل في **اللغة**: جمع مسألة وهو ما يُسأل عنه، **واصطلاحاً**: طائفة من العلم يبرهن عليها بالدليل.

وهذه المسائل الأربع التي نص عليها المصنّف ﷺ ليست على سبيل الحصر، ولكن على سبيل الاستقصاء والتغليب والأوّليّة، وفي القاعدة الأصولية المعروفة: «**الأوّليّة لها حق من الأولويّة**».

قال المصنف ﷺ: «**الأولى: العلم، وهو: معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام بالأدلة**»: عرّف المصنّف ﷺ العلمَ تعريفاً شرعيا على مراد الشارع من العباد، والعلم من أمور الوسائل، لا المقاصد والغايات، فإنّ العلم: ما قاد إلى خشية الله، وأجمع العلماء على أنّ العلم هو خشية الله، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [سورة فاطر:٢٨]، قال الحسن البصري ﷺ: «العلم هو خشية الله»، وقال أيضا: «العلم علمان: علم القلوب، وعلم الألسن» [2].

والعلم ينقسم إلى قسمين:

- **علم نافع**: وهو الذي كان رسول الله ﷺ يسأله من ربه كل صباح، كما في حديث أمّ سلمة ﷺ الذي أخرجه الإمام أحمد ﷺ في مسنده بإسنادٍ صحيح: أن النبي ﷺ كان يقول كل صباح: «**اللهم إني أسألك علماً نافعاً ورزقاً طيباً وعملاً متقبلاً**» [3].

---

(١) متفق عليه.

(٢) انظر: سنن الدارمي ﷺ «١/١٠».

(٣) أخرجه الإمام أحمد ﷺ في مسنده «٤٤/١٤٠»، ورواه ابن ماجه ﷺ كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما يقال بعد التسليم، «٩٢٥»، قال الشيخ الألباني ﷺ: صحيح.

- **العلم الذي ليس بنافع:** وهو العلم الذي يُبعِد من الله ﷻ ويورّث في القلب كِبراً وعجباً واحتقاراً للناس.

والعلم له عدّة تعريفات: لغوية، وشرعية، وعرفية. وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ﷺ عرف العلم تعريفاً شرعياً، وهو: «معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام»، وهذه الثلاثة التي ذكرها المصنف ﷺ هي **أصول العلوم والمعارف**، فمن لا يعرف ربّه ودينه ونبيّه فهو من أجهل الخلق على الإطلاق.

ومعرفة الله ﷻ إما أن تكون:

- **فطرية:** قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ﴾ [سورة الروم: ٣٠].

- أو بمطالعة آيات الله الكونيّة والشرعيّة، كالقرآن والسنة.

ونتائج هذه المعرفة:

- الإيمان بقضائه وقدره الكوني والشرعي.
- الأعمال الصالحة التي تقرب من الله.

تعريف العلم **لغة:** هو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكاً جازماً. **واصطلاحاً:** معرفة الهُدى بدليله، كما قال ابن القيّم ﷺ في النونيّة:

العلم معرفة الهدى بدليله ... ما ذاك والتقليد يستويان

وإذا أطلق العلم؛ فإن المراد به هو **العلم الشرعي**، قال الزهري ﷺ: «**ما عُبِدَ الله بمثل الفقه**» (١)، وقال الحسن البصري ﷺ: «**الدنيا كلّها مظلمة إلاّ مجالس العلماء**» (٢).

---

(١) انظر: جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر «١١٠».

(٢) انظر: جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر «١١١».

وينقسم العلم من جهة الاصطلاح إلى ثلاثة أقسام:

- **علم واجب:** وهو ما يسمى عند العلماء بفروض الأعيان والضروري من أمور الدين.
- **علم مباح:** وهو ما ليس بواجب ولا محرم ولا تتعلق به منفعة للمسلمين، مثل: العلوم الدنيوية التي أصلها مباح.
- **علم محرم:** وهو ما كان أصله محرم، كالسحر والتنجيم والعِرافة والكهانة.

وينقسم **العلم الواجب** إلى قسمين:

- **فرض عين.**
- **فرض كفاية.**

فرض العين مثل: أركان الإسلام، وأركان الإيمان، وما في معناها: كشروط لا إله إلا الله، وأقسام التوحيد، ونواقض الإسلام، وغيرها، وقد أخرج الإمام ابن ماجه ﷺ في سننه من حديث أنس بن مالك ﷺ، عن النبيّ ﷺ، أنه قال: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»(١)، ففي هذا الحديث: بيان حكم طلب العلم وأنه فرض عين على كل مسلم، وهذه الجملة جاءت في سياق العموم، ليس فيها تخصيص ولا استثناء، والفرض أخصّ من الواجب، وأشدّ من جهة الحكم، كما هو مذهب جماهير الأصوليين، وقد أمر الله بتعلم العقيدة، فقال لنبيّه ﷺ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [سورة محمد:١٩].

وأمر النبيُّ ﷺ معاذاً ﷺ أن يدعو أهل اليمن إلى توحيد الله، كما جاء في حديث معاذ ﷺ الذي أخرجه البخاري ومسلم «**فليكن أوّل ما تدعهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**»(٢).

---

(١) رواه ابن ماجه ﷺ كتاب المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، ح«٢٢٤»، قال الشيخ الألباني ﷺ: صحيح دون قوله وواضع العلم إلخ فإنه ضعيف جداً.

(٢) متفق عليه.

والأمر بعبادة الله هو أوّل أمر قرآنيّ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [سورة البقرة:٢١]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «**كل عبادة في القرآن الكريم المراد بها التوحيد**»[(١)].

وكذلك جاء أوّل نهي في القرآن عن الشرك، فقال تعالى: فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [سورة البقرة:٢٢].

ويأثم تاركه **إثمان**: إثم الجهل بالحكم، وإثم التفريط في التعليم.

ضابط **فرض الكفاية: ما يحتاجه المسلمون في بعض الأوقات دون بعض**، كأحكام الجنائز، والصلاة على الميّت، وينقسم إلى قسمين:

- **فرض كفاية على الأفراد.**
- **فرض كفاية على الأمة.**

فرض الكفاية على الأفراد: وهو القدْر الزائد على فرض العين، كمن يريد أن يتعلّم علم المواريث أو الفرائض، وليس عنده مال، وضابطه: **الحاجة إلى علم من العلوم الشرعيّة أو العلوم الدنيويّة، الزائدة عن حاجة المسلم.**

فرض كفاية على الأمّة: وهو الحاجة الدينيّة لمجموع الناس دون الأفراد، ما يقوم به بعضهم دون الكلّ، كغسل الميّت، والصلاة على الجنائز وغيرها.

قال المصنف رحمه الله: «**بالأدلة**»: والأدلة جمع دليل، والدليل هو: الطريق الموصل إلى المراد. وفي هذه الجملة بيان أنّ الطريق الموصل إلى معرفة الله، ونبيّه، ودينه، هي الأدلة الشرعية «**الكتاب، والسنة**».

---

(١) انظر: تفسير البغوي «١/٤».

والأدلة تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

- **أدلة عقليّة:** كما قال خطيب بنـــــي إياد قس بن ســـاعدة الأيدي: «البعرة تدل على البعير».
- **أدلة سمعيّة:** وهي ما تسمّى عند العلماء بالأدلة الشرعية، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [سورة التوبة:٦]، وقد التزم الإمام محمد بن عبد الوهاب ﷺ في هذه الرسالة أن يذكر كل مسألة بدليلها.
- **أدلة فطرية:** وهي الضرورة الملحّة التي يجدها الإنسان في داخله بأن الله ﷻ على كل شيء قدير، وأنه وحده هو القادر على أن يجلب النفع ويدفع الضرّ.

❖ مسألة: هل يجب على كل الناس تعلم مسائل العقيدة بالأدلة؟

الجواب: للعلماء في هذه المسألة قولان مشهوران:

القول الأول: أن الرجل العاميّ الذي لا يسعه التعامل مع الأدلّة والاستنباط منها، والرجل الكبير في السن الذي لا يقرأ ولا يكتب، يكفيه أن يسأل عالماً موثوق بعلمه وديانته وسلامة عقيدته، ثم يعتقد ما يقول ويقلّده في هذا الباب، لأن الله يقول:

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [سورة التغابن:١٦]، وقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة النحل:٤٣].

القول الثاني: وجوب النظر في الأدلّة، والاستدلال بها ومعرفتها، لا للاستنباط منها إذا لم يكن أهلا لذلك؛ ولكن من أجل أن يطمئن القلب، ويعلم أنّ عليها أدلّة شرعيّة.

قال المصنف ﷺ: «**الثانية: العمل به**»: الضمير عائد إلى العلم، لأنه أقرب مذكور، والعمل مفرد أعمال، وهو اسم يطلق على مسمى الفعل، والعمل المراد به: **الطاعة، والانقياد لله ولكتابه ولسنة رسوله ﷺ.**

والعمل لا يكون إلا عن علمٍ وتعلم، وهو نتاج العلم وثمرته، ومن مقاصد الدين: الجمع ما بين العلم والعمل.

ومن فوائد العمل بالعلم:

- السلامة من الوقوع في الشرك والبدع والمحدثات.
- لزوم السنة المطهرة والاتباع.
- عدم التشبه باليهود «**الذين يعلمون ولا يعملون**».
- عدم التشبه بالنصارى «**الذين يعملون ولا يعلمون**».

والأعمال تنقسم إلى قسمين:

- أعمال دنيوية: كالتجارة والزراعة، ويشترط فيها شرطان:

١) مشروعيتها.
٢) حليّتها.

- **أعمال دينيّة**، ويشترط فيها ثلاثة شروط:

١) **الإخلاص** لله: وهو إرادة وجه الله وإفراده بجميع أنواع العبادة.

ويَبطل الإخلاص بثلاثة أمور:

– **السمعة**: وهي محبة أن يسمع الناس عن ما تقوم به من الأمور الدينية.
عن عبد الله بن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سمّع؛ سمّع الله به**» (١).
– **الرياء**: وهو مأخوذ من الرؤية والمشاهدة، وهو محبط للعمل قادحٌ فيه.
عن عبد الله بن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من يرائي يرائي الله به**» (٢).
– **إرادة الإنسان بعمله الدنيا**: لخطورة هذا الأمر، بوّب الإمام محمد بن عبد الوهاب ﷺ في كتاب التوحيد الباب السادس والثلاثون، «**باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا**»، وقال تعالى:

---

(١) أخرجه الإمام البخاري ﷺ في صحيحه، كتاب الرقاق، باب الرياء والسمعة، «٦١٣٤».
(٢) التخريج السابق.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [سورة هود:١٥-١٦]، وقول النبي ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**تعس عبد الدينار تعس عبد الخميصة**» (١).

وهذه الثلاثة فيها ميل القلب عن الله عز وجل والترحّل عن الدار الآخرة إلى زهرة الحياة الدنيا، وهي من جنس الشرك الأصغر، ومع المداومة والإصرار تكون من الشرك الأكبر. ويُشرع للعبد إذا أحسّ في نفسه ميلاً إلى الدنيا أن يقول هذا الحديث الذي أخرجه البخاري في الأدب المفرد بإسناد صحيح، وسمّاه حديث كفّارة الشرك الأصغر: «**اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً أعلمه وأستغفرك لما لا أعلم**» (٢).

٢) **المتابعة**: وهي **لزوم هدي النبي ﷺ وعدم الميل عنه**. قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [سورة الملك:٢]، قال المفسرون: «**أي: أخلصه وأصوبه**»، وصوابه هو: اتباع سنة النبي ﷺ.

ويشترط لقيام السنة ثلاثة شروط:

- **خلو العمل من الهوى**، والرغبات الشخصية، والأطماع الدنيوية. عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به**» (٣)، قال الإمام النووي رحمه الله: «**حديث صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح، لذلك سمّى العلماء كلّ من اتّبع الهوى ولم يتّبع الهدى بأهل الأهواء**».

---

(١) أخرجه الإمام البخاري رحمه الله في صحيحيه، كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، ح«٢٧٣٠».

(٢) أخرجه الإمام البخاري رحمه الله في الأدب المفرد رقم «٧١٦» وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

(٣) الأربعين النووية «٤١».

- **السلامة من البدع والـمحدثات**، كما فـي حديث عائشة ﵂: «**من أحدث فـي أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ**» (١).

قال ابن رجب ﵀: «هذا الـحديث أصل من أصول الإسلام، وميزان للأعمال الظاهرة، كما أنّ حديث عمر ميزان للأعمال الباطنة» (٢). وكان النبـي ﷺ يعلّم الصحابة خطبة الـحاجة كما يعلّمهم السورة من القرآن فيقول: «**كل مـحدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار**» (٣).

- **عدم التعصب** للمذاهب، والآراء، والاجتهادات، والفتاوى؛ لأنّنا مطالبون باتّباع النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [سورة آل عمران:٣١]، وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [سورة الأحزاب:٢١].

فهذه الثلاثة من أعظم ما يفسد على العبد لزوم السنة إذا أتى بما يخالفها، وكان الإمام أحمد ﵀ يبكي ويقول: «اللهم أمتنا على الإسلام والسنة» (٤).

٣) **الإيـمان بالله**: والدليل قوله تعالـى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ﴾ [سورة النحل:٩٧].

قال المصنّف ﵀: «**ثالثاً: الدعوة إليه**»: **الدعوة** هي الإبلاغ عن الله ﷻ ورسوله ﷺ، وهي من ثمرات العلم، بل هي بركة العلم، والمقصود هو: **الدعوة إلى توحيد الله، وإلى ما تعلّمه الإنسان.**

---

(١) متفق عليه.

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب ﵀، شرح الحديث الخامس.

(٣) أخرجه أبو داود ﵀ في سننه،كتاب السنة، باب في لزوم السنة، «٤٦٠٧» قال الشيخ الألباني ﵀: صحيح.

(٤) انظر: طبقات الحنابلة للقاضي أبي يعلى «١/١٧٤».

❖ أركان صحة الدعوة:

- **الإخلاص لله** ﷻ: وضابط الإخلاص في الدعوة إلى الله: **أن يكون الهدف هو إعلاء كلمة الله** ﷻ، **وإظهار دينه، وإحياء شعيرته**، والدليل قوله تعالى:
﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى﴾ [سورة يوسف:١٠٨].
- **متابعة النبي** ﷺ: والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ [سورة يوسف:١٠٨].
- **العلم**: والعلم اسم جنس، واسم الجنس يعم؛ فيكون العموم كليّ ونسبيّ، فيتناول بالعموم الكليّ: **العلم الشرعي**، ويتناول بالعموم النسبيّ: **العلم بحال المدعو**، وحال المدعوّ لا يخلوا من إحدى ثلاث كما ذكر ابن القيم ﷺ:

١) أن يكون طالباً للحق، محبا له، مؤثرا له على غيره إذا عرفه؛ فهذا يدعى بالحكمة، ولا يحتاج إلى موعظة ولا جدال.
٢) أن يكون مشتغلاً بضد الحق، لكن لو عرفه آثره واتّبعه؛ فهذا يحتاج إلى موعظة بالترغيب والترهيب.
٣) أن يكون معانداً معارضاً، فهذا يجادل بالتي هي أحسن، فإن رجع وإلا انتقل معه إلى الجلاد إن أمكن.

- **الحكمة**: والدليل قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ﴾ [سورة النحل:١٢٥]، **والحكمة** هي: فعل ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي.
قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾ [سورة البقرة:٢٦٩]، والحكمة تقتضي مراعاة الأطوار الثلاثة: **الضعف، والممانعة، والتمكين.**

وسائل الدعوة اجتهادية، ويشترط فيها ثلاثة أمور:

١) أن تكون موافقة للكتاب والسنة، وليس فيها معارضة لأحدهما.
٢) أن لا تكون مخالفة لأعراف الناس الصحيحة.
٣) أن تكون أصلها مباحاً.

قواعد في الدعوة إلى الله:

- الدعوة إلى الله توقيفيّة في أصلها، اجتهادية في وسائلها، ومعنى التوقيف: أي أنّ العمل متوقّف في ثبوتها على الدليل.
- وجوب دعوة الناس إلى الله ﷻ بالقرآن، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾ [سورة الجمعة:٢]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ﴾ [سورة الأنبياء:٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [سورة التوبة:٦].
- وجوب دعوة الناس إلى الله ﷻ بالسنة، عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: «**إنما الأعمال بالنيات**»(١)، وقال ﷺ: «**بلغوا عني ولو آية**»(٢).
- الدعوة إلى أركان الإسلام، وأركان الإيمان، وشرحها وتبسيطها للناس: كحديث جبريل عليه السلام.
- دعوة الناس إلى مقاصد الدين: كجمع الكلمة، وتوحيد الصف.
- دعوة الناس إلى محاسن الإسلام، قال ﷺ: «**بعثت لأتمم حسن الأخلاق**»(٣)، وفي لفظ: «**لأتمم صالح الأخلاق**»(٤).
- دعوة الناس إلى العقيدة الصحيحة وإفراد الله بالعبادة.
- دعوة الناس إلى أقسام التوحيد الثلاثة، مع مراعاة الحاجة إلى قسم دون قسم.

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الإمام البخاري رحمه الله كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، «٣٢٧٤».

(٣) أخرجه الإمام مالك رحمه الله في الموطأ، كتاب حسن الخلق، باب ما داء في حسن الخلق، «١٦٠٩».

(٤) رواه الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله في مسند أبي هريرة ﷺ، ٣٨١/٢، ح«٨٩٣٩»، تعليق الشيخ شعيب الأرنؤوط رحمه الله: صحيح.

- دعوة الناس بالقصص القرآني، قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [سورة يوسف:٣]، **والحكمة منها:**

١) **تثبيت القلوب،** قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [سورة هود:١٢٠].

٢) التنبيه **على أن لا يقع في ما وقع فيه أصحاب القصة،** لذلك يختم الله كثيراً من هذه القصص بقوله: ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ۝٢﴾ [سورة الحشر:٢].

٣) أنها **تبعث في النفس اليقينَ على موعود الله** ﷻ، كما ذكر الله في آخر قصة الذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها قال الله في آخر الآيات: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٥٩﴾ [سورة البقرة:٢٥٩]، ولأهمية القصص في القرآن الكريم تولّى الله ﷻ ذكرها في كتابه في موضعين:

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [سورة يوسف:٣]، ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ۝٥٧﴾ [سورة الأنعام:٥٧].

- وعظ الناس بمواعظ القرآن الكريم، قال تعالى:

﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٧﴾ [سورة النور:١٧].

- دعوة الناس بالترغيب والترهيب، قال تعالى:

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ﴾ [سورة الأنبياء:٩٠]، والجمع ما بينهما في وقت واحد، لأن الفصل بينهم ليس عليه دليل واضح، والدليل على الجمع حديث أبي هريرة ﷺ المشهور في فضل مجالس الذكر.

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ لِلَّهِ مَلاَئِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْماً يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ**» قَالَ: «**فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا**»، قَالَ: «**فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ، مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ**»، قَالَ:

«**فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِـــــي؟**» قَالَ: «**فَيَقُولُونَ: لاَ وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ؟**» قَالَ: «**فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِـي؟**» قَالَ: «**يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَـمْجِيداً وَتَـحْمِيداً، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْـبِيحاً**» قَالَ: «**يَقُولُ: فَمَا يَسْـأَلُونِـــي؟**» قَالَ: «**يَسْـأَلُونَكَ الـــجَنَّةَ**» قَالَ: «**يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟**» قَالَ: «**يَقُولُونَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا**» قَالَ: «**يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّـهُمْ رَأَوْهَا؟**» قَالَ: «**يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّـهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصاً، وَأَشَدَّ لَـهَا طَلَباً، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟**» قَالَ: «**يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ**» قَالَ: «**يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟**» قَالَ: «**يَقُولُونَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا**» قَالَ: «**يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟**» قَالَ: «**يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً**» قَالَ: «**فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَـــهُمْ**» قَالَ: «**يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الـــمَلاَئِكَةِ: فِيهِمْ فُلاَنٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّـــمَا جَاءَ لِـــحَاجَةٍ**»، قَالَ: «**هُمُ الـــجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَى بِـــهِمْ جَلِيسُهُمْ**» رَوَاهُ شُعْبَةُ، عَنِ الأَعْمَشِ، وَلَـــمْ يَرْفَعْهُ، وَرَوَاهُ سُهَيْلٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ[1].

- دعوة الناس إلـى التفقه فـي الدين، قال ﷺ: «**من يرد الله به خيـراً يفقهه فـي الدين**»[2].
- دعوة الناس إلى البراءة من الشرك وأهله.
- دعوة الناس إلى شمائل وأخلاق النبي ﷺ.

قال المصنف رحمه الله: «**الصبر على الأذى فيه**»: والصبر في اللغة: الحبس والمنع.

وفـي الاصطلاح: **حبس النفس على ما تكره مـما هو من مـحاب الله، من حبس اللسان عن التسخط، والقلب عن الجزع، والجوارح عن البطش.**

والصبر في الإسلام كمثابة الرأس للجسد.

حكمه: **واجب** كما ذكر ابن القيم وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله.

---

(١) صحيح البخاري ٨/٨٦ ح«٦٤٠٨».

(٢) متفق عليه.

وينقسم الصبر إلى أربعة أقسام:

١) الصبر على طاعة الله.

٢) الصبر عن معصية الله.

٣) الصبر على أقدار الله.

٤) الصبر على الصبر نفسه.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ﴾ [سورة آل عمران:٢٠٠]، وقال ﷺ: «**ومن يتصبر يصبره الله**» [(١)]، والمؤمن لابد له أن يُعوِّد نفسه على الصبر، لأنّه سيواجه أعداء، أصحاب شوكة وجلد، فلا بدّ له أن يصبر حتى يلين الله له القلوب، قال الله ﷻ على لسان لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾ [سورة لقمان:١٧]، وقوله لنبيه ﷺ:

﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [سورة الأحقاف:٣٥]، ولا بدّ من الصبر على المسائل الثلاثة الأولى: **العلم، والعمل، والدعوة.**

قال المصنف رحمه الله: «**والدليل قوله تعالى:** ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [سورة العصر:١-٣]»: أي والدليل على المسائل الأربع: سورة العصر، فدليل العلم: قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، لأنّ الإيمان لا يأتي إلا بعد العلم، ودليل العمل: قوله تعالى: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، ودليل الدعوة: قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ﴾، ودليل الصبر قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾، وهذه المسائل الأربع هي شرح لسورة العصر.

---

(١) رواه الإمام البخاري رحمه الله كتاب الجنائز، باب الاستعفاف عن المسألة، «١٤٠٠»، وفي كتاب الرقاق، باب الصبر عن محارم الله وقوله ﷻ ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٍ ١٠﴾، «٦١٠٥».

وأخرج الطبراني، والبيهقي في شعب الإيمان، عن أبي مدينة الدارمي عبد الله بن حصن كان الرجلان من أصحاب النبي ﷺ إذا التقيا يقرأ كل واحد منهم سورة العصر ثم يسلم [1]، وهذا الحديث يدل على سُنّتين: **قراءة سورة العصر، والسلام.**

قال المصنف ﷺ: «**قال الشافعي** ﷺ: «**لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم**»»: هذه العبارة بهذه اللفظة لم ترد عن الإمام الشافعي ﷺ، ذكر ذلك شيخنا العلامة المحدث حماد الأنصاري ﷺ فقال: «فتّشنا عن هذه الكلمة فلم نجدها بهذا اللفظ، وقد وجدتها في «مناقب الشافعي» للبيهقي بأسانيد رائعة بلفظ: لو فكر الناس في هذه السورة لكفتهم» [2]، وقال شيخنا العلامة عبد الله الغنيمان: «أوردها الإمام محمد بن عبد الوهاب ﷺ بالمعنى». والصحيح عن الشافعي كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «لو تدبّر الناس هذه السورة لكفتهم» [3]، والمقصود من مقولته هذه ﷺ: أي أنها كافية في قيام الحجة عليهم. وهذا ليس بعيب يُأخذ على الشيخ؛ لأن هذه العبارة وردت بألفاظ كثيرة، فقد وردت عن الإمام النووي ﷺ في «رياض الصالحين» [4]، وعند ابن كثير ﷺ وردت بلفظ آخر [5]، وعند ابن القيم ﷺ وردت بلفظ آخر [6].

وألّف الشيخ ﷺ هذه الرسالة وليست عنده مراجع يعزو إليها كثيراً من المراجع، وهذا يدل على أمانة الشيخ وحفظه، وقد أجاز أهل العلم رواية حديث النبي ﷺ بالمعنى، فمن باب أولى أن يُذكر كلام غيره بالمعنى.

وقد تكلم أئمة الجرح والتعديل على الراوي قوي الحفظ كثير الرواية أن وهمه لا يضر، وقد ذكر الشيخ ﷺ أثرين أُخرَيين بالمعنى، وهما: أثر ابن كثير ﷺ:

---

(١) أخرجه الطبراني ﷺ في المعجم الأوسط «٢١٥/٥»، والبيهقي ﷺ في شعب الإيمان «٥٠١/٦».

(٢) انظر: شرح الأصول الثلاثة للشيخ عبد الرزاق البدر في موقعه قسم الصوتيات.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى «١٥٢/٢٨».

(٤) انظر: رياض الصالحين، باب التعاون على البر والتقوى.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير ﷺ «٦٣/١».

(٦) انظر: إغاثة اللهفان لابن القيم ﷺ «٢٥/١».

«الـخالق لـهذه الأشياء هو الـمستحق للعبادة»، وأثر البغوي ﷺ فـي قوله: «وسبب نزول هذه الآية: في المسلمين الذين بمكة لم يهاجروا، ناداهم الله باسم الإيمان».

قال المصنف ﷺ: «**قال البخاري** ﷺ: «**باب العلم قبل القول والعمل والدليل قوله تعالى**: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [سورة محمد:١٩]، **فبدأ بالعلم قبل القول والعمل**»: المقصود من هذه الترجمة: بيان أنّ ما عليه عامّة أهل العلم قاطبة؛ أنهم لا يأمرون أحداً بشيء قبل أن يتعلم العلم الشرعي، وتراجم البخاري ﷺ تدل على فقهه، وفي تراجمه نقل عمل الصحابة والسلف، وكذلك نقل الإجماع، وكذلك القرب من مراد الشارع، وفي هذه الترجمة بيان أن العلم إمام، والعمل مأموم، فإذا تقدم المأموم على الإمام بطلت الصلاة على المختار.

اعلم رحمك الله أنه يجب على كل مسلم ومسلمة، تعلم هذه المسائل الثلاث والعمل بهن.

الأولى: أن الله خلقنا، ورزقنا، ولم يتركنا هملاً، بل أرسل إلينا رسولاً، فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار، والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ١٥ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا ١٦﴾ [سورة المزمل:١٥-١٦].

قال المصنف رحمه الله: «**اعلم رحمك الله أنه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم هذه المسائل الثلاث والعمل بهن**»: ذكر المصنف رحمه الله أنّ هذه المسائل الثلاث تجب على كل مسلم ومسلمة، و«كل»: من صيغ العموم عند الأصوليين، وهذا العموم عموم كليّ لا يُستثنى منه أحد. وقوله: «**مسلم ومسلمة**»، هذا عموم آخر للتأكيد على أهمية هذه المسائل الثلاثة.

والوجوب هنا **وجوب شرعي**، لا عرفيّ ولا لغويٌ، وهذا الوجوب قد انعقد عليه الإجماع، وهو وجوب عينيّ على كل ذكر وأنثى من الثقلين الجن والإنس. **فالواجب: ما أمر الشرع به أمرا لازما، وحكمه: ما يثاب فاعله ويعاقب تاركه.**

وأغلظ أنواع الوجوب: ما كان واجبا حتميا في أمور العقيدة حيث أنّنا استفدنا هذا الوجوب من النصوص الشرعيّة الصحيحة الصريحة، لا بالتّتبع والاستقراء والسبر والتقسيم، ومحض الاجتهاد البشريّ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [سورة البقرة:٢١]، وقال تعالى: ﴿۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾ [سورة النساء ٣٦].

المسألة الأولى

فيها بيان توحيد الربوبية، **وهو إفراد الله بأفعاله**، التي لا يشاركه فيها أحد، وتوحيد الربوبية قائم على إفراد الله تعالى بخمس صفات، وهذه الصفات منها ماهي صفات ذاتية، ومنها ماهي صفات فعلية:

- **الصفة الأولى: المُلك**: وهو أنّ الله ﷻ مالك كل شيء، حقيقةً؛ حيث أن الملك ينقسم إلى قسمين:

١) مُلكٌ صوريّ: كمُلك الإنسان للبيت والدابة، وهذا الملك فيه عيبان:

العيب الأول: ليس ملك دائم.

العيب الثاني: أنه ينتقل إلى غيره، وقد يشاركه في هذا الملك غيره.

٢) مُلكٌ حقيقيّ: وهو ملك الله ﷻ لخلقه.

- **الصفة الثانية: الخَلق.**
- **الصفة الثالثة: الرزق.**
- **الصفة الرابعة: التدبير.**
- **الصفة الخامسة: الإحياء والإماتة.**

فمن أتى بهذه الصفات الخمسة، وجرّدها لله ﷻ؛ فقد حقّق توحيد الربوبية.

ونصّ المصنف ﷺ على صفتين من صفات الله، هما: **الخلق والرزق**، لأن الناس ينقسمون فيها إلى ثلاثة أقسام:

١) **مؤمن بها حق الإيمان.**
٢) **مؤمن بها، لكنه أتى بما يقدح فيها.**
٣) **ملحد فيها، قد صرفها عن معناها الصحيح.**

قال المصنف ﷺ «**أن الله خلقنا**»: فالخلق هو: **الإيجاد من العدم على غير مثال سابق.** والخلق من صفات الله ﷻ الفعلية، يتصف بها متى شاء وكيف شاء، قال تعالى:

﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾ [سورة الزمر:٦٢]، وقال تعالى:

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١﴾ [سورة العلق:١].

ومن معاني **الخَلق: التصوير**، وهو: **التهيئة على حال حسنة مرضية**، قال تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٦﴾ [سورة آل عمران:٦]، فمن تمام التوحيد: أن لا يصرف شيء من هذه الصفات لغير الله ﷻ.

وينقسم التصوير إلى ثلاثة أقسام:

- القسم الأول: **التجسيم**، وهو: **بناء التماثيل والعكوف عليها**، قال تعالى:

﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ٥٢﴾ [سورة الأنبياء:٥٢]، ومن صور العكوف عليها: **جعلها مَعلَما سياحيا، وإبرازها للناس**. وهذا خلاف السنة لما أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن علي بن أبي طالب ﷺ قال لأبي الهياج الأسلمي: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ أن لا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبراً مشرفاً إلا سوّيته» [1]. وقد كسّر إبراهيم ﷺ الأصنام، واستحق بهذا التكسير أن يكون إمام الملّة وعَلَماً على الحنيفية السمحة.

- القسم الثاني: **الرسم باليد**، وهو: ما يسمّى عند الصحابة والسلف بالرقم، وهذا النوع محرّم لثلاثة علل:

– أن اسمه تصوير لغةً، وشرعاً، وعُرفاً.

(١) أخرجه الإمام مسلم ﷺ في صحيحه «٩٦٩».

– أن فيه مضاهاة لخلق الله ﷻ، وفي الحديث القدسي: «**من أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي**» [1]. والكاف تفيد التشبيه، وتشبيه المخلوق بالخالق من الإلحاد في صفات الله.

– أن فيه منازعة لله في صفة الخلق.

● القسم الثالث: التصوير بآلة التصوير: وهذه المسألة اختلف فيها العلماء المعاصرين إلى قولين:

١) من قال بالجواز، وليس على الإطلاق، وإنما بضوابط: كالتعليم، والدعوة إلى الله، والدروس العلمية، وتوثيق المشاريع الإغاثية والدعوية.

٢) التحريم **مطلقاً** إلا للضرورة: كالهوية، والأوراق الرسمية.

والخلاف في هذه المسألة يسير وسهل ولله الحمد، وينبغي أن تتسع فيه الصدور، وكلا القولين له دليه وتعليله.

❖ مسألة: هل يوجد في توحيد الربوبية شرك أكبر وأصغر؟

الجواب: لا يوجد في توحيد الربوبية هذا التقسيم، لأن فيه نفي صفات الله ﷻ عنه، ونسبتها لغيره، **وصورة ذلك**: أنّ الله هو الخالق، فلا خالق غيره، وأن الله هو المحيي والمميت، فلا يحيي ولا يميت إلا هو.

قال المصنف ﷺ: «**ورزقنا**»: **والرزق** هو: الإمداد والعطاء، وينقسم الرزق إلى قسمين:

● القسم الأول: **رزق عام**، وهو: **رزق الأبدان بالطعام والشراب**، وهذا يشترك فيه المسلم والكافر والبَرّ والفاجر، وليس في هذا الرزق دليل على كرامة الناس عند الله ﷻ، قال تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ [سورة الإسراء: ٢٠].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري ﷺ في صحيحه، كتاب اللباس، باب نقض الصور، «٥٦٠٩».

- القسم الثانـــي: **الرزق الـــخاص**، وهو: **هداية القلوب إلـــى توحيد علام الغيوب**، وهو خاص لعباد الله وأصفيائه، فيعلق قلوبـــهم به وحده لا شريك له، ويشغلهم فـــي توحيده، فليس لـهم شغل إلا تـحقيق العبودية لله ﷻ.

❖ مسألة ينبغي الإشارة إليها، وهي:

أنّ الرزق سبب وليس غاية، فيجب على العبد: الاعتقاد بأن الرازق والواهب والـــمعطي هو الله وحده لا شريك له، وأنّ طرق كسب الرزق مـــجرد أسباب يـــحرم التعلق بـــها، قال ﷺ: «**من تعلق شيئاً وكل إليه**» [1]، والتعلق إما أن يكون **حسيا**، أي: بالأحراز والـــحُجب، وإما أن يكون **معنويا**، مثل: التعلق بالأسباب، وإهـمال التوكل على الله ﷻ.

❖ مسألة ينبغي الإشارة إليها، وهي:

أن أصل الرزق فـــي السماء، وسببه فـــي الأرض، قال تعالـــى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢﴾ [سورة الذاريات:٢٢]، وقال تعالـى: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢١﴾ [سورة الحجر:٢١]، ويشتـــرط **فـــي قيام الرزق شرعاً** أن يكون مبنياً على ركنين:

- **الركن الأول**: تمام التفويض والتوكل على الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ٥٨﴾ [سورة الفرقان:٥٨].
- **الركن الثانـــي**: فعل السبب مع عدم التعلق به، واعتقاد أن السبب لا ينفع ولا يضر بذاته من دون الله ﷻ، قال تعالـــى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥﴾ [سورة مريم:٢٥].

---

(١) رواه الترمذي رحمه الله في كتاب الطب عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في كراهية التعليق، «٢٠٧٢».

❖مسألة: هل يقال أتاني رازقي أو من يرزقني؟

الجواب: الأصل في هذه المسألة المنع، والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [سورة الذاريات:٥٨].

قال المصنف ﷺ: «**ولم يتركنا هملاً**»: أي: مهملين بلا أوامر ولا نواهي، ولا تكاليف ولا إلزامات، ولا عبادات تدل على صدق العبد، قال تعالى:

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [سورة المؤمنون:١١٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الذاريات:٥٦]، نقل قتادة ﷺعن ابن عباس رضي الله عنه أنّ معنى هذه الآية: «إلا لآمرهم وأنهاهم».

وفي هذه الآية: الرد على المرجئة الذين تعلقوا بالأمل وتركوا العمل، والرد على الملاحدة الذين قالوا أنهم وُجِدوا في هذه الدنيا لغير سبب، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾﴾ [سورة الأنبياء:١٦]، وقال تعالى: ﴿مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة الدخان:٣٩].

قال المصنف ﷺ: «**بل أرسل إلينا رسولاً**»: في هذه العبارة بيان وجوب إقامة الحجة على الناس، وذلك بإرسال الرسل، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [سورة الإسراء:١٥]، والرسل ينقسمون إلى قسمين:

١) رسل ملائكية.
٢) رسل بشرية.

وهذه الأمة قد خصّها الله بخصائص عظيمة فأرسل إليها أفضل رسول بشريّ؛ وهو محمد ﷺ، وأُوحي إليه عن طريق أفضل رسول ملكيّ، وهو جبريل عليه السلام، وهذا كله لبيان أهمية العقيدة، ولبيان فضيلة هذه الأمة وعظم مكانتها، فمن تمام ربوبية الله ﷻ لعباده وتدبيره لشؤونهم أرسل إليهم رسلا مبشرين ومنذرين، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، وهؤلاء الرسل مهمتهم دعوة الناس إلى توحيد الله ﷻ، وإفراده بالعبادة.

قال الـــمصنف ﷺ: «**فمن أطاعه**»: أي: فيما يدعو إليه، وهو **التوحيد وعبادة الله** ﷻ، **واجتناب ما نهى عنه، وهو الشرك**.

قال المصنف ﷺ: «**دخل الجنة**»: أي: بسبب توحيده لله ﷻ.

قال المصنف ﷺ: «**ومن عصاه دخل النار**»: أي: من خالف أمره وطاعته وارتكب الشرك دخل النار.

قال الـــمصنف ﷺ: «**والدليل قوله تعالـــى**: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ١٥ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلًا ١٦﴾ [سورة المزمل:١٥-١٦]»: قوله تعالـى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا﴾ أي: يدعوكم إلـى توحيد الله وإفراده بالعبادة، قوله: ﴿شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ﴾ أي: منكم شاهداً عليكم يوم القيامة أنكم لم تعبدوه.

وفي هذه المسألة: بيان نوع من أنواع التوحيد وهو: **توحيد الربوبية**.

– قواعد مهمة في توحيد الربوبية:

- أن الربوبية مشتقة من اسم الرب.
- أن الربوبية متعلقة بالأمور الكونيّة، كالخلق والإحياء والإماتة.
- أن الربوبية أقرّ بـها الـمشركون، بـخلاف الألوهية، رفضوها واحتالوا عليها، قال تعالـى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٦١﴾ [سورة العنكبوت:٦١].
- الربوبية مدلولها: علميّ ونظريّ، بخلاف الألوهيّة مدلولها عمليّ تعبدي.
- من آمن بالربوبية وحدها لا يسمّى مسلما، بل لا بد من الألوهية؛ لأنها مستلزمةٌ لها.
- الربوبية: **توحيد الله بأفعاله** وحده لا شـريك له، وإفراده وحده بذلك، ولذلك سُـــمّي توحيدا، لأنه مشتق من الوحدة والتفرّد.
- أن توحيد الربوبية مبنيّ على ركنين: الأول: **النفي**، الثاني: **الإثبات**.
- أن الشرك في توحيد الربوبية أشد وأشنع أنواع الشرك بالاتفاق.

- أن الشرك في الربوبية يقع في شيئين:

١) **شرك التعطيل**: وقد قال عنه العلامة ابن القيم ﷺ: «هو أقبح أنواع الشرك، كما قال فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الشعراء:٢٣]، وقوله: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [سورة القصص:٣٨]، والشرك والتعطيل متلازمان، حتى بلغ قوله-: **وأصل الشرك وقاعدته التي يرجع إليها هو التعطيل وهو ثلاثة أقسام:**

- هو تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه.
- تعطيل الصانع سبحانه عن كماله المقدّس بتعطيل أسمائه وأوصافه وأفعاله.
- تعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد» [(١)].

٢) **شرك التشبيه والتمثيل**: ومن هذا شرك الذي حاجّ إبراهيم في ربه:
﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾ [سورة البقرة:٢٥٨].

- يجب إثبات ذات الله العلّيّة إثباتاً جازماً، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل.
- أن لله تعالى ذات لا كالذوات، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى:١١].
- الشهود لله بكمال ربوبيته وأوصافه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «فإن الرب ﷻ هو المالك المدبّر المعطي المانع النافع الضار المعز المذل الخافض الرافع، فمن شهد أن المعطي أو المانع أو الضار أو النافع أو المعز غيره فقد أشرك بالربوبية»، ثم قال:

---

(١) انظر: الداء والدواء لابن القيم ﷺ «٢٢٩».

«ولكن إذا أراد التخلص من هذا الشرك؛ فلينظر إلى المعطي الأول مثلا فيشكره على ما أولاه من النعم، ولينظر إلى من أسدى إليه معروفا، لقوله ﷺ: «**من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه**»[(١)]، -حتى بلغ قوله- «فهذا يدل أنه لا ينفع في الحقيقة إلا الله، ولا يضر غيره، وكذا جميع ما ذكرنا في مقتضى الربوبية فمن سلك هذا المسلك العظيم استراح من عبودية الخلق ونظره إليهم، وأراح الناس من لومه وذمه إياهم، وتجرّد التوحيد في قلبه، فقوي إيمانه وانشرح صدره وتنور قلبه، ومن توكل على الله فهو حسبه، ولهذا قال الفضيل بن عياض ﷺ: «من عرف الناس استراح، يريد والله أعلم: أنهم لا ينفعون ولا يضرون» [(٢)].

- أنه سبحانه مباينٌ لخلقه بذاته، أي: متنزه عن مشابهته لعباده، قال العلامة ابن القيم ﷺ: «فإن الربوبية المحضة تقتضي مباينة الرب تعالى للعالم بالذات» [(٣)].
- الربوبية: **علم القلوب**، والألوهية: **عمل القلوب**.
- أن الله موجود حقيقةً ﷻ، قال العلامة ابن القيم ﷺ: «ومعلوم أن وجود الرب تعالى أظهر للعقول والفِطَر من وجود النهار، ومن لم يرى ذلك في عقله وفطرته فليتهمها» [(٤)].
- يقول الإمام محمد بن عبد الوهاب ﷺ «فأما توحيد الربوبية فهو الأصل، ولا يغلط في الألوهية إلا من لم يعطه حقه» [(٥)].
- يقول الإمام محمد بن عبد الوهاب ﷺ: «وكذلك توحيد الألوهية هو أشهر نتائج الربوبية».

---

(١) سنن أبي داود كتاب الزكاة، باب عطية من سأل بالله، «١٦٧٢» قال الشيخ الألباني ﷺ: صحيح.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ «١/٩٢-٩٣».

(٣) انظر: مدارج السالكين لابن القيم ﷺ «١/١٣٩».

(٤) انظر: مدارج السالكين لابن القيم «١/١٣٧».

(٥) انظر: الدرر السنية «٢/٦٥».

- أن توحيد الربوبية مُستلزم لتوحيد الألوهية، ولا يـــمكن الفصل بينهم، ولذلك قال الإمام مـحمد بن عبد الوهاب ﷺ: «وكانت العرب تطلق الرب على الآلـهة، فسموا معبوداتـهم أربابا، أي: آلـهة».
- أن توحيد الربوبية يُدعى إليه بطريقتين:

١) بالأدلة الشرعية والكونية: وهذا لـمن كانت فطرتـهم سليمة، وقد لا يـحتاجونـها كثيـرا، كما قال شـيخ الإسـلام ابن تيمية «كما أنه فطرهم على الإقرار به بدون هذه الآيات»[١].

٢) من يـــحتاجون إلـــى أدلة عقلية، وجدالات طويلة تفصيلية: وهذا يكون مع من تلوثت فطرهم سواء بفعل فاعل أو نتاج وساوس شيطانية.

ترتيب من أشرك في الربوبية من الناس في الأرض:

- أولاً: فرعون.
- ثانياً: الدهريين.
- ثالثاً: الملاحدة.
- رابعاً: الطبائعيون: وهم الذين يقولون أن الطبيعة هي التي أوجدت نفسها بنفسها.
- خامساً: القائلون بالصدفة، وهم فرع من فروع الملاحدة.
- سادساً: القدرية: وهم الذين يقولون أن الإنسان يخلق فعل نفسه، ولا دخل لله في فعله.

- أن من يشركون في الربوبية ينقسمون إلى أقسام:

١) من ينفي الربوبية عن الله جملةً وتفصيلاً: مثل فرعون وبعض الملاحدة.

٢) من يقرّ بربوبيته، ولكن يقرّ بوجود رب آخر: مثل الـــمجوس، والقدرية، وبعض مشركي العرب في اعتقادهم أن لأصنامهم النفع والضرّ.

٣) من يقرّ بربوبية الله لكن لا دخل له فـي أفعال عباده: مثل القدرية القائليـن بأن الإنسان يخلق فعل نفسه، وكذلك طائفة من الملاحدة تسمى «الربوبيين»، فهم يُثبِتون أن هناك

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ «٤٧/١».

إله، لكن لا دخل له في تصرّفات العباد، فهؤلاء في الحقيقة نفوا ما اثبتوا، فنفيهم وإثباتهم سواء.

- أننا نؤمن بربوبية الله بالقلب، ونعطّل تكييفه بالعقل، ونقف حيث وقف النص الشرعي، ومن قدّم عقله على النص فقد عبد إلهاً آخر.
- أن الإيمان بالقضاء والقدر من أبرز ثمرات توحيد الربوبية.
- أن توحيد الربوبية ملاصق لتوحيد الأسماء والصفات، ولذلك من أهل العلم من يقسمون التوحيد إلى قسمين، ويجعلون توحيد الربوبية والأسماء والصفات قسماً واحداً.
- لتوحيد الربوبية عند العلماء أسماء منها:

١) التوحيد العلمي.

٢) التوحيد الخبري.

٣) التوحيد الاعتقادي.

٤) توحيد المعرفة والإثبات.

٥) توحيد الربوبية.

- أنه الركن الأول من أركان الإيمان: الإيمان بالله، أي: بربوبيته.

الثانية: أن الله لا يرضى أن يُشرك معه أحد في عبادته، لا ملك مقرب، ولا نبيّ مرسل، والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [سورة الجن:١٨].

المسألة الثانية

قال المصنف رحمه الله: «**المسألة الثانية: أن الله لا يرضى أن يُشرك معه أحدٌ في عبادته، لا ملك مقرّب، ولا نبيٌّ مرسل**»: فيه إثبات صفة الرضا لله ﷻ، وهي من الصفات الذاتية، وقد جاءت في الكتاب والسنة. قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الفتح:١٨]، وأخرج الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها**»(١).

ونصّ المصنّف رحمه الله على مخلوقيْن عظيميْن، وهما: **الأنبياء، والملائكة**، لأنهم من أفضل الخلق، وأعبدهم لله ﷻ، مع ذلك لا يجوز عبادتهم أو صرف أي نوع من أنواع العبادة لهم، فمن هم دونهم من الخلق من باب أولى.

وفي هذه المسألة الثانية بيان نوع من أنواع التوحيد وهو: **توحيد الألوهية**.

– قواعد مهمة في توحيد الألوهية:

- أن الألوهية مشتقة من اسم الله.
- أن الألوهية متعلقة بأفعال العباد، كالصلاة، والزكاة، وغيرها من أفعال العباد.
- أن الألوهية توحيد الله بأفعال العباد.
- أن توحيد الألوهية مبني على ركنين:

١) النفي.

---

(١) رواه الإمام مسلم رحمه الله في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب، «٢٧٣٤».

٢) الإثبات.

- أن كلّ ما يطلق عليه اسم العبادة لا يجوز صرفه إلا لله ﷻ.
- أن جميع الأنبياء والرسل بُعِثوا بالدعوة إلى توحيد الألوهية.
- أن توحيد الألوهية له عدة أسماء عند أهل العلم:

– توحيد العبادة.

– توحيد الإلهية.

– توحيد الألوهية.

– توحيد القصد والطلب.

- أن توحيد الألوهية مأخوذ من التوحّد والتفرّد، فمن أشرك مع الله أحداً في عبادته فهو مشرك وليس موحّد.
- أن الخطأ في توحيد الألوهية كثير جداً لكثرة أنواع العبادات، أكثر من الخطأ في توحيد الربوبية، مثل: الخطأ في التوسل والوسيلة، والخطأ في الاستغاثة والدعاء.
- أن الناس انقسموا في توحيد الألوهية إلى قسمين:

١) من لا يُقرّ بتوحيد الألوهية ولا يأتي به، ويجعل مع الله شركاء وأنداد، ويكتفي بمعرفة توحيد الربوبية، مثل: كفار قريش.

٢) من أقرّ بتوحيد الألوهية، لكنّه يصرف جُلّ العبادة لغير الله، فهؤلاء أقوى من شبه كفار قريش، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝١٠٣ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [سورة الكهف:١٠٣-١٠٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ۝١٠٦﴾ [سورة يوسف:١٠٦]، وفسّر الصحابة هذه الآية بأنّ ما يؤمن أكثرهم بالله، أي: **بتوحيد الربوبية**، ﴿إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ۝١٠٦﴾ أي: **في توحيد الألوهية**.

- أن توحيد الربوبية الفاعل واحد، والقصد واحد، أما توحيد الألوهية فالفعل متعدد، والقصد متعدد، فتوحيد الربوبية لا ينقسم، وتوحيد الألوهية ينقسم.

قال المصنف ﷺ: «**والدليل قوله تعالى**: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [سورة الجن:١٨]»: فيه بيان استحقاق العبادة لله ﷻ، وذكر المفسرون في معنى المساجد أربعة أقوال مشهورة، وأشهرها قولان:

١) أماكن التعبد لله ﷻ.

٢) أعضاء السجود.

وكل هذه أقوال صحيحة، وهي من قبيل التفسير بالمثال.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾، أي: لا تصرفوا أي نوع من أنواع العبادة لغير الله ﷻ، **وأعظمها: ما كان من جنس الدعاء كالصلاة.**

❖ **فائدة: ذكرها بعض المفسرين عن الحسن البصري ﷺ أنه قال: «يستحب لمن دخل المسجد أن يقول: لا إله إلا الله»** (١)**، ولعلّ مقصوده: تأكيد البراءة من الشرك، وصرف العبادة لله ﷻ.**

(١) انظر: زاد المير في علم التفسير لابن الجوزي ﷺ «١٤٧٠» ط دار ابن حزم.

الثالثة: أن من أطاع الرسول ووحد الله لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله، ولو كان أقرب قريب، والدليل قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة المجادلة:٢٢]

المسألة الثالثة

قال المصنف رحمه الله: «**المسألة الثالثة: أن من أطاع الرسول ووحّد الله لا يجوز له موالاة من حادّ الله ورسوله ولو كان أقرب قريب**»: قوله: «**من أطاع الرسول**»، أي: باتباعه، لأن الطاعة تستلزم المتابعة، فعبّر بالطاعة ولم يعبّر بأي لفظ آخر.

وفي قوله: «**ووحد الله**»، أي: بإفراده بالعبادة.

وفي قوله: «**لا يجوز له**»، أي: يحرم عليه تحريماً شرعيا قطعيا، والتحريم هو أغلظ أنواع النهي، وهو: **ما أمر الشرع بتركه أمراً ملزماً**.

في هذه المسألة بيان عقيدة الولاء والبراء، وهذه العقيدة من أعظم الدلائل على تغلغل التوحيد في قلب العبد، وقد جاء ذكر هذه العقيدة في القرآن الكريم في أكثر من ألف موضع، وكذلك في السنة في أكثر من ألف موضع منطوقاً ومفهوماً.

وهذه العقيدة تنقسم إلى قسمين:

١) عقيدة الولاء.

٢) وعقيدة البراء.

القسم الأول: الولاء

وهو المحبة والمقاربة والمناصرة الدينية، وقد ذكر العلماء بأن الولاء ينقسم إلى قسمين:

- **ولاء مطلق**: وهو ما يسمى بالتولي: وهو كفر مُخرجٌ من المِلّة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [سورة المائدة:٥١]، **وضابطه**: محبة الكفار ومولاتهم ومناصرتهم لدينهم. ويشترط في المتولي شروط:

١) أن يكون متعمداً لذلك قاصداً له.

٢) أن يكون مظهراً لذلك.

٣) أن يكون عالماً بحرمته.

٤) أن يكون غير مكره.

- **ولاء جزئي**: وهو ما يسمى بالموالاة، كالتشبه بالكفار وتقليدهم، **وضابطه**: محبة الكفار لدنياهم لا لدينهم، وهو من أكبر الكبائر، ولا يستهان به، وصاحبه لا يكفر ولكن توحيده على خطر عظيم، وفيه نقص شديد، وهو: كلعب كرة القدم، ولبس الألبسة الرياضية التي عليها أعلامهم، والتحدث بلغتهم، والسفر إليهم، والسكن معهم.

التشبه: مأخوذ من المماثلة، وينقسم إلى ثلاثة أقسام:

- **التشبه بملابسهم**: والأصل أن ما يختصّ به الكفار المنع، ويدل على ذلك أن النبي ﷺ أنكر على عمرو بن العاص رضي الله عنه عندما رآه يلبس ثوباً معصفراً، فقال ﷺ: «**هذا لباس قوم لا خلاق لهم**»[(١)].

ويُرد على شبهة **من يقول**: أن النبي ﷺ كان يقبل الهدايا من المشركين، ومنها الألبسة، بأمور:

١) أن النبي ﷺ قَبِلها مع كرهه وبغضه لأهلها.

٢) أن النبي ﷺ لم يطلبها من أهلها.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه، في كتاب العيدين، باب في العيدين والتجمل فيهما، «٩٠٦».

٣) أن النبي ﷺ حذر من التشبه بهم، وأمر بمخالفتهم.

ونصّ شيخ الإسلام ﷺ في **اقتضاء الصراط المستقيم**: «أن من مقاصد الإسلام: مباينة اليهود والنصارى، ومخالفتهم في كل شيء».

- **التشبه بهم وبلغتهم**: وهذا يتنافى مع مقاصد الإسلام، إذ جعل الله كتابه بلسان عربيٍّ مبين، وقد نهى عمر بن الخطاب ﷺ عن الرطانة، وهي: **الكلام باللغة الأعجمية**، لعلمه بأنها تفسد على المسلمين دينهم وفهمهم للقرآن والسنة.
- **التشبه بهم في أعيادهم ومناسباتهم**: وهذا كله محرّم، وقد منعه الله ورسوله ﷺ.

❖ **مسألة: قال بعض العلماء كالطبري وابن حزم: أن الولاء لا ينقسم إلى قسمين، بل هو قسم واحد مُخرِج من الملة، ولكن الأصح: أنه قسمان.**

- **ولاء تام**: وهذا للمؤمنين.
- **ولاء ناقص**: وهذا لعصاة الموحدين، **ضابطه**: أن يحبه على قدر ما في قلبه من إيمان، وأن يبغضه على قدر ما في قلبه من عصيان.

❖ **مسألة: اختلف العلماء ﷺ أيضاً في الموالاة والتولي، هل هما شيء واحد أم بينهم اختلاف؟**

الجواب: في هذه المسألة قولان مشهوران:

- القول الأول: أنهما شيء واحد.
- القول الثاني وهو الراجح: أنهما مختلفان، ودلّ على ذلك: القرآن والسنة، قال تعالى في الآية التي نزلت في الصحابي الجليل حاطب بن أبي بلتعة ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١﴾ [سورة الممتحنة: ١].

فأثبت لهم الإيمان كما في أول الآية، ولو كانت الموالاة والتولي شيء واحد؛ لما وصفهم الله بالإيمان، ومن السنة: قصة الصحابي الجليل حاطب بن أبي بلتعة ﷺ: «كتب في رسالته ﷺ: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ» (١).

❖ مسألة: من الذي تجب له الموالاة؟

الجواب:

- **المسلم.**
- **المؤمن.**
- **المحسن.**
- **المؤمن ناقص الإيمان.**
- **الملائكة.**

❖ مسألة: هل تجب موالاة جواري وعبيد ومجانين المؤمنين؟

الجواب: نعم تجب موالاتهم إذا كانوا مؤمنين، من باب إلحاق الفرع بالأصل.

- **قواعد الولاء** «القواعد التي تقوم عليها عقيدة الولاء»:

- المحبة: قال ﷺ: «**أن يحب المرء لا يحبه إلا لله**» (٢). وتقتضي هذه المحبة أربعة أمور:

١) **حب الخير له:** قال ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه**» (٣).

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

٢) **إظهار تلك المحبة:** والدليل ما أخرجه أبو داود والنسائي ﷺ بإسناد صحيح: أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ، وقال له: إني أحب فلانا، فقال النبي ﷺ: «**هلاّ أخبرته؟**» (١).

٣) **السلامة من البغض:** وإلّا لما سميت محبة، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [سورة الحشر:١٠].

٤) أن تكون هذه المحبة حقيقيّة: لا صورية.

– **النصرة:** ودليلها قوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ﴾ [سورة الأنفال:٧٢]، وقال ﷺ: «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يُسلمه**» (٢)، وقال أيضا: «**أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً**» (٣).

وتقتضي هذه النصرة أمور:

١) نصرته باللسان والذب عن عرضه: قال ﷺ: «**من ذبّ عن لحم أخيه؛ ذبّ الله عن وجهه النار**» (٤).

٢) نصرته بالسنان إذا احتاج لذلك: قال تعالى: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم﴾ [سورة الحج:٤٠].

٣) نصرته بالكتابة.

---

(١) أخرجه أبو داود ﷺ في سننه، كتاب الأدب، باب إخبار الرجل الرجل بمحبته إليه، «٥١٢٥» قال الشيخ الألباني ﷺ: «حسن»، وأخرجه الإمام أحمد ﷺ في مسنده، مسند أنس بن مالك ﷺ، «٣/١٤٠»، «١٢٤٥٣» تعليق شعيب الأرنؤوط ﷺ: «إسناده صحيح على شرط الإمام مسلم ﷺ».

(٢) رواه الإمام مسلم ﷺ في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، «٢٥٦٤».

(٣) متفق عليه.

(٤) أخرجه الإمام أحمد ﷺ في مسنده، من حديث أسماء ابنة يزيد ﷺ، «٦/٤٦٠».

٤) نصرته بقضاء حاجاته والقيام عليها: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**والله في عون العبد؛ ما كان العبد في عون أخيه**» [١].

- **الدعاء**: وقد ذكر الله تعالى هذا الأمر في كتابه في سياق الثناء على الأنصار أنهم يقولون: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [سورة الحشر:١٠].
- **النصح**: والدليل قوله ﷺ: «**الدين النصيحة! الدين النصيحة! قلنا لمن يا رسول الله؟ قال: لله، ولكتابه، ولأئمة المسلمين، وعامتهم**» [٢].
- **الهجرة إليهم**، كما في الحديث: «**انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم**» [٣].
- **التذلل لهم**: قال تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [سورة المائدة:٥٤]، وهو بمعنى: خفض الجناح لهم.

القسم الثاني: البراء

وهو: **المفارقة والمباعدة والبغض**، وهذا يجب مع الكافرين.

❖ مسألة: من الذين نتبرأ منهم:

الجواب: البراءة تنقسم إلى قسمين: **براءة مطلقة، وبراءة جزئية**، فالبراءة **المطلقة**: تكون من:

- المشركين.
- الكافرين.
- المرتدين، وهم: من بدلوا دينهم.
- من والى الكفار لدينهم.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه ح«٢٦٩٩».

(٢) أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، ح«٥٥».

(٣) أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه، ح«٢٧٦٦».

- الـــمنافقيـــن نفاقاً اعتقادياً، وهم: من يبغضون الله ويبغضون رسوله ويـــحزنون عند نصر الإسلام ويفرحون عند كسر المسلمين في دينهم، وضعفهم.

والبـــراء الـــجزئي: يكون من أفعال وأخطاء بعض عصاة الـــموحدين على قدر معاصيهم، والمنافقين نفاقا عملياً، والدليل قوله ﷺ: «**اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد!** -مرتين-»[1].

قواعد البـــراء: القواعد التـــي تقوم عليها عقيدة البـــراء اجتمعت فـــي سورة الـــممتحنة وهي ثمانية:

- **التصريح بعقيدة البراء**: قال تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ﴾.
- **البراءة من الكفر وأهله**: قال تعالى: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ﴾ وهذه البراءة تكون من الأعيان ومن المجموع.
- **البراءة من آلهتهم**: قال تعالى: ﴿وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾.
- **اعتقاد كفرهم**: قال تعالى: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾.
- **إظهار ذلك**: قال تعالى: ﴿وَبَدَا﴾.
- **معاداتهم**: قال تعالى: ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ﴾.
- **بغضهم**: قال تعالى: ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ﴾.
- **المداومة على ذلك**، وعدم الانفكاك عنه: قال تعالى: ﴿أَبَدًا﴾.

قال تعالـــى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [سورة الممتحنة:٤].

---

(١) رواه الإمام البخاري رحمه الله في كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى بني جذيمة، «٤٠٨٤».

قال المصنف ﷺ: «**والدليل قوله تعالى**: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة المجادلة: ٢٢]».

❖ فائدة: هذه الآية جمعت ثمرات الولاء والبراء وهي ثمانية:

- **رسوخ الإيمان في القلب**: قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾.
- **تأييد الله لهم**: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾.
- **استحقاقهم دخول الجنة**: قال تعالى: ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾.
- **خلودهم في الجنة**: قال تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾.
- **استحقاقهم لأعظم جائزة وهي رضا الله عنهم**: قال تعالى: ﴿رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾.
- **تحقيقهم منزلة الرضى**: قال تعالى: ﴿وَرَضُواْ عَنْهُ﴾.
- **أنهم أهل الله وحزبه**: قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ﴾.
- **تحقيق الفلاح لهم في الدنيا والآخرة**: قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

قال العلامة المحدّث سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ﷺ في «رسالة أوثق عرى الإيمان»: «قد نهى الله سبحانه عن موالاة الكفار، وشدّد في ذلك، وأخبر أن من تولّاهم فهو منهم» (١)، وكذلك جاءت الأحاديث عن النبي ﷺ، أخبر النبي ﷺ: «**أن من أحب قوماً حشر معهم**» (٢).

---

(١) انظر: رسالة الدلائل في موالاة أهل الإشراك.

(٢) رواه الطبراني ﷺ في المعجم الأوسط «٦/٢٩٣»، وفي المعجم الصغير «٢/١٤٤»، قال المنذري ﷺ: «إسناده جيد»، وصححه الشيخ الألباني ﷺ.

ويفهم مـــما ذكرنا من الكتاب والسنة، والآثار عن السلف أمور، من فعلها دخل فـــي تلك الآيات، وتعرّض للوعيد بمسيس النار، -نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه-.

❖ **عشرون صورة من صور موالاة الكفار التي يحرم على العبد فعلها.**

- **التولي العام.**
- **المودة والمحبة الخاصة.**
- **الركون القليل:** قال تعالـــى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [سورة الإسراء:٧٤-٧٥]، فإذا كان هذا الخطأ لأشرف مخلوق ﷺ، فكيف بغيره؟
- **مداهنتهم:** قال تعالى: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾﴾ [سورة القلم:٩].
- **طاعتهم فيما يقولون وفيما يشيرون:** قال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [سورة الإسراء:٧٤-٧٥].
- **تقريبهم في الجلوس،** وإدخالهم على أمراء الإسلام بطريقة فيها عزّة لهم.
- **مشاورتهم في الأمور.**
- **استعمالهم في أمر من أمور المسلمين،** أي أمر كان، إمارةً، أو أعمال، أو كتابة، أو غير ذلك.
- **اتخاذهم بطانة من دون المسلمين.**
- **مجالستهم، ومزاورتهم، والدخول عليهم.**
- **البشاشة لهم والطلاقة.**
- **الإكرام العام.**
- **استئمانهم وقد خونهم الله.**
- **معاونتهم في أمورهم:** ولو بالشيء القليل، كبري القلم وتقريب الدواة ليكتبوا ظلمهم.
- **مناصحتهم.**

- **اتباع أهوائهم.**
- **مصاحبتهم ومعاشرتهم.**
- **الرضى بأعمالهم، والتشبه بهم، والتزيي بزيهم.**
- **ذكر ما فيه تعظيم لهم:** كتسميتهم سادات وحكماء، كما يقال للطاغوت السيد فلان، أو يقال لمن يدّعي علم الطبّ: الحكيم، ونحو ذلك.
- **السكنى معهم في ديارهم:** كما قال النبي ﷺ: «**من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله**»[1]، وفي الأصل أنها لا تجوز إلا للضرورة.

فهذه عشرون صورة من صور موالاة الكفار التي يحرم على العبد فعلها.

❖ مسألة: ما يستثنى من التعامل مع الكفار:

الجواب:

- **دعوتهم:** وهذا أمر أجمعت عليه جميع الشرائع.
- **الهدنة معهم:** وهي المصالحة على شروط، والدليل قوله تعالى:

﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا﴾ [سورة الأنفال:٦١]، قال ابن كثير رحمه الله: «**السلم: أي: الهدنة**»، وهذا لا إشكال فيه سلفاً وخلفاً، وعليه إجماع العلماء، ولم يخالف في ذلك إلا غلاة الخوارج والمعتزلة، وهو مذهب عامة أهل الحديث، والذي رجّحه الإمام البخاري رحمه الله، كما في كتابه «**الجامع الصحيح**»، «**باب الصلح مع المشركين**»، أنّه ساق فيه حديث أبي سفيان رضي الله عنه في الصلح مع بني الأصفر، ثم ساق حديث البراء بن عازب رضي الله عنه في ذكر صلح الحديبية، ثم ختم الباب بحديث أبي حثمة رضي الله عنه في قصة انطلاق عبد الله بن سهل ومحيّصة بن مسعود بن زيد إلى خيبر وهي يومئذ صلح.

---

(١) رواه أبو داود رحمه الله أول كتاب الجهاد، باب في الإقامة بأرض الشرك، «٢٧٨٧»، قال الشيخ الألباني رحمه الله: صحيح.

- **عدم ظلمهم**: والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ [سورة المائدة:٨]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ [سورة الأحزاب:٤٨].
- **الإحسان إلى الكفار الغير محاربين**: والدليل قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [سورة الممتحنة:٨].
- **وجوب بر الوالدين**: والدليل قوله تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾ [سورة لقمان:١٥]، وكما في قصة أسماء بنت أبي بكر ﵂ قالت: قدمت على أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ، فاستفتيت رسول الله ﷺ، قلت: قدمت على أمي وهي راغبة، أفأصل أمي؟ قال: «**نعم صلي أمك**» (١).
- **المتاجرة**: كما في خبر رهن النبي ﷺ درعه ليهودي، ليشتري لأهله الطعام، كما في صحيح البخاري ﵀ (٢).
- **قبول الهدية مالم تكن محرمة في أصلها**: والدليل: حديث أنس ﵁ «أن رسول الله ﷺ أهدى إليه أُكيدر دومة جبّة من سندس» (٣)، وهذا هو قول جماهير العلماء، وهو مذهب الإمام البخاري ﵀، كما في صحيحه: «**باب قبول الهدية من المشركين**».
- **إجابة دعوتهم**: بشرط أن لا يكون الطعام محرماً أو في مواسمهم أو في أعيادهم، والنبي ﷺ قد أجاب دعوة المرأة اليهودية التي وضعت له السمّ في الطعام (٤).

---

(١) رواه أبو داود ﵀ في أول كتاب الجهاد، باب في الإقامة بأرض الشرك، ح«٢٧٨٧»، قال الشيخ الألباني ﵀: صحيح.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

(٤) أخرجه الإمام مسلم ﵀ في كتاب الآداب، باب السم، «٢١٩٠».

- **الزواج من أهل الكتاب**: ولكن بشـــرط، قال تعالـــــى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [سورة المائدة:٥].
- **الإحسان إليهم ما لم يكونوا حربيين**: والدليل: قصة إحسان النبي ﷺ للغلام اليهودي كما أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه [١].

❖ **مسألة: ما الفرق بين المداهنة، والمهادنة، والمداراة؟**

الجواب: المداهنة: هي المجاملة على حساب ضياع الدين، **والمهادنة**: هي التوقف عن الحرب بشروط معتبرة ما بين الطرفين، **والمداراة**: هي بذل الدنيا لصلاح الدين.

(١) صحيح البخاري رحمه الله في كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام، «١٢٩٠».

اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم: أن تعبد الله وحده مخلصا له الدين وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الذاريات:٥٦]، ومعنى ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾: أي يوحدون.

قال المصنف ﷺ: «**اعلم –أرشدك الله لطاعته– أن الحنيفية ملة إبراهيم**»: هذه مقدمة دعائية بدأ بها الشيخ ﷺ للتلطف وكسب قلوب المدعوين وتحبيبهم فيما يلقى، والرشد ضد الغي، والرشد مأخوذ من الرَّشَدِ وهو: إصابة عين المراد، وفي **الاصطلاح**: الهداية إلى أمور الآخرة، قال تعالى: ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [سورة الكهف:١٠]، وقال موسى عليه السلام للخضر: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾ [سورة الكهف:٦٦]، والرشد يطلق ويراد به الأمر الحسي، مثل: الدلالة على الطريق، ويطلق ويراد به الأمر المعنوي، كالبلوغ والتمييز، فيقال: صبيّ بلغ رشده، ويطلق ويراد به الذكاء والفطنة، كما قال لوط عليه السلام:

﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾﴾ [سورة هود:٧٨]، واختلف العلماء في الفرق ما بين الرُشد والتَرشُّد، وأظهر الأقوال: أن الرشد يكون في الأمور الأخروية، والترشد في الأمور الدنيوية والأخروية.

والرشد من الأمور التي جعلها الله محض إرادته واختياره، فجعل لهذه الإرادة سبباً، والسبب: إما أن يكون بشريا، وهو: الذي يطلب من البشر فيما يقدرون عليه، كما طلب موسى عليه السلام من الخضر أن يعلمه علما ليس عنده، ويكون الخضر سببا بشريا لحصول العلم لموسى عليه السلام، وإما أن يكون طلبيا، كما فعل فتية الكهف في دعائهم ربهم: ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [سورة الكهف:١٠]، ولا يجوز نسبة محض الرشد إلى شخص بعينه، كما تقول الرافضة عن زعمائهم أنهم مرشدين، فهذه التسمية فيها صرف نوع من أنواع التعظيم لغير الله.

قوله: «**لطاعته**»: الطاعة في **اللغة**: الانقياد والمتابعة عن محبة وتعظيم واختيار، **واصطلاحاً**: اسم جامع لأبواب الخير، وأعظمها: التوحيد والبراءة من الشرك والمشركين.

قوله: «**الحنيفية**»: الحنيفية لها ثلاثة معاني:

- **الأول**: المعنى اللغوي، وهو: الميل.
- **الثاني**: الاستقامة: وهذا المعنى ذكره شيخ المفسرين أبو جعفر الطبري ﵀ (١).
- **الثالث**: وهو أجمعها ذكره ابن القيم ﵀ فقال: «المقبل على الله، المعرض عمّا سواه» (٢).

والحنيفية من أفضل ما عبد الله به في الأرض، فقد سئل رسول الله ﷺ عن أحب الدين إلى الله فقال: «**الحنيفية السمحة**» (٣).

والحنيفية تقوم على ركنين:

- **الأول**: الإيمان بالله، المتضمن لأركان الإيمان الستة المقتضية لشروط لا إله إلا الله وأركانها، والمجانبة لنواقض الإيمان؛ كإنكار شيء من أمور الإيمان الغيبيّة مثل: الملائكة، والبعث، والنشور، والوعد، والوعيد، والجنة، والنار.
- **الثاني**: الكفر بالطاغوت، والكفر بالطاغوت: **شرط صحة في إسلام العبد**، ولا يستقيم للعبد دين، ولا تقوم له ملة، إلا بالكفر بالطاغوت والإيمان بالله، والدليل قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾ [سورة البقرة:٢٥٦]، قال مجاهد في تفسير: ﴿بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ أي: الإيمان بالله، وقال ابن كثير ﵀ أن تتمسك بأعظم الأسباب المنجية من النار المدخلة للجنة.

---

(١) انظر: تفسير الطبري ﵀ «٢/٥٩١».

(٢) انظر: جلاء الأفهام لابن القيم ﵀ «١/٢٩٦».

(٣) أخرجه الإمام البخاري ﵀ في كتاب الإيمان باب الدين يسر، وأخرجه الإمام أحمد ﵀ في مسنده، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ﵄ عن النبي ﷺ، «١/٢٣٦»، «٢١٠٧» تعليق الشيخ شعيب الأرنؤوط ﵀: صحيح لغيره.

والـــحنيفية السـمحة هي أوثق ما في الدين، بل هي الدين كله، ولا تنفصم ولا تنحل عن العبد حتى تُورِد العبدَ الجنةَ بأمر الله، **والحنيفية**: قول، وعمل، واعتقاد، وهي الدين الصافي الذي فرضه الله على جميع العباد، وهي الصراط المستقيم، والنهج القويم والحبل المتين.

عرّف المصنف ﷺ الحنيفية بقوله: «**ملة إبراهيم**»، والملّة في اللغة مأخوذة من المَلَلِ، وهو الطريق الذي يُمشى فيه بكثرة، واصطلاحا هي: **العقيدة الصحيحة، والطريقة الواضحة.** وسميت ملة إبراهيم بذلك؛ لأن إبراهيم عليه السلام عَلَمٌ عليها، ودعى الناس قاطبة إلى هذه الحنيفية.

والملة تنقسم إلى قسمين:

- الأول: **ملة الكفار**، قال تعالى: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ﴾ [سورة البقرة:١٢٠]، وهذه الملة مبناها على مُحادة الله ورسوله والكفر به، قال تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ﴾ [سورة النساء:٨٩].
- الثاني: **ملة التوحيد والإسلام والإيمان**، وهي: عبادة الله، والإيمان به، والبراءة من الشرك والمشركين، وهي التي أمر الله بها، قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١﴾ [سورة الأنعام:١٦١]، وقال ﷺ: «**أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة**»[(١)].

❖ مسألة: هل يجوز أن تقول أنا على عقيدة إبراهيم عليه السلام، أو عقيدة أبي بكر وعمر، أو أحدًا من العلماء؟

الجواب: يجوز بشرط أن يكون من أئمة المسلمين، وأن يكون مشهوراً باتباع السنة ومجانبة الهوى والبدعة، والدليل قوله تعالى:

---

(١) سبق تخريجه.

﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٣﴾ [سورة النحل:١٢٣]، وكما قال يوسف عليه السلام: ﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ﴾ [سورة يوسف:٣٨]، وألّف العلماء رحمهم الله في هذا الباب مصنّفات، كالإمام اللالكائي، والآجري، وابن بطة رحمهم الله.

قال المصنف رحمه الله: «**أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها كما قال تعالى:** ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [سورة الذاريات:٥٦]»:

أي أن الله خلق الخلق ليعبدوه، وبالألُوهية يفرّدوه، وخلقهم لتحقيق التوحيد وإفراده بالعبادة، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [سورة الذاريات:٥٦]، وفسّر الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله هذه الآية بأن المقصود بها: **يوحدون**، وهذا التفسير نقله الإمام محمد بن عبد الوهاب عن الإمام البغوي رحمه الله. وأعظم أوامر الله الشرعية والكونية هي توحيده عز وجل، وإفراده بالعبادة، ولا يوجد هناك أمر أعظم من هذا الأمر.

وتحقيق التوحيد يكون بخمسة أمور:

- السلامة من الشرك الأكبر.
- السلامة من الشرك الأصغر.
- السلامة من الذنوب والمعاصي.
- السلامة مما ينافي التوكل «كالتعلق المطلق بالأسباب».
- الإتيان بالفرائض والواجبات والسنن والمستحبات.

وقول المصنف رحمه الله: «**ومعنى يعبدون أي يوحدون**»: فيه تعريف العبادة بتوحيد الألوهية، وأن الشرك هو صرف توحيد الألوهية لغير الله.

❖ **قاعدة: لفظ العبادة إذا أطلق في القرآن الكريم فإن المراد به توحيد الله وحده لا شريك له، وعلى ذلك جرى عمل عامة المفسرين رحمهم الله.**

وأعظم ما أمر الله به: **التوحيد**، وهو: إفراد الله بالعبادة، وأعظم ما نهى عنه: **الشرك**، وهو: دعوة غيره معه، والدليل قوله تعالى: ﴿۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [سورة النساء:٣٦].

وقوله ﷺ: «**وأعظم ما أمر الله به التوحيد: وهو إفراد الله بالعبادة**»: الأصل في الأوامر أنها تقتضي الوجوب والإلزام العيني؛ ما لم يأتي دليل يصرفها عن ذلك الوجوب إلى الاستحباب والندب، **وأهم أوامر الدين** وأعلاها هو: **الأمر بتوحيد الله** ﷻ، ثم يأتي بعد ذلك **الأمر بالصلاة والعبادات الأخرى**، قال تعالى لموسى عليه السلام:

﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ [سورة طه:١٤]، فبدأ بالتوحيد ثم جاء بالعبادات بعده.

❖ **قاعدة: كل أمر في القرآن الكريم يخص العقيدة فإنه يقتضي الوجوب العيني.**

قال المصنّف ﷺ: «**وأعظم ما نهى الله عنه الشرك وهو دعوة غيره معه، والدليل قوله تعالى:** ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [سورة النساء:٣٦]».

❖ **قاعدة: الأصل في النواهي أنها تقتضي التحريم، وكل نهيٍ في القرآن الكريم يخص العقيدة فيقتضي التحريم حرمة مغلظة.**

فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها؟ فقل معرفة العبد **ربه، ودينه، ونبيه محمد** ﷺ.

قال المصنّف ﷺ: «**فإذا قيل لك ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها**»: أي إذا سألك سائل مسترشد طالب للهدى والحق؛ فأجبه بما أجاب به الشيخ ﷺ، بمعرفة هذه الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها معرفة تامة، والمعرفة التامة هي المقرونة بالعلم والعمل، وهذه الأصول الثلاثة مستنبطة من حديث البراء بن عازب ﷺ الطويل، فهي توقيفية وليست اجتهادية، والشيخ ﷺ من فقهه في قضايا التوحيد وحسن تعليمه للناس بدأ بثلاثة أسئلة مهمة، وفيها التمهيد لما بعدها، وللتنبيه على أنها واجبة، وكلها تدور حول توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية. فإذا قيل لك ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها؟ فقل: معرفة العبد ربه ودينه ونبيه إجابة موقن بما يقول.

قال المصنّف ﷺ: «**فقل معرفة العبد ربه ودينه ونبيه محمد** ﷺ»: وهذه الثلاث تسمى بأصول المعارف وقواعد السير إلى الله.

الأصل الأول

فإذا قيل لك من ربك؟ فقل: ربي الله الذي ربّاني، وربّى جميع العالمين بنعمه، وهو معبودي ليس لي معبود سواه، والدليل قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [سورة الفاتحة:٢]. وكل ما سوى الله عالم، وأنا واحد من هذا العالم.

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ۝٣٧﴾ [سورة فصلت:٣٧]، وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٥٤﴾ [سورة الأعراف:٥٤].

شرع المؤلف ﷺ في الأصل الأول من الأصول الثلاثة التي هي أصل ومادة هذه الرسالة، فالأصل الأول المقصود منه: الحديث عن توحيد الربوبية، لكن المصنف ﷺ سار على الطريق والمنهج الصحيح، فضمّن توحيد الألوهية في توحيد الربوبية، لاستلزام كل واحد منهم للآخر.

والمصنف ﷺ تحدث في هذا الأصل عن أنواع العبادات التي يبنى عليها توحيد الألوهية، مع أن هذا الأصل من المفترض أن يتحدث فيه الشيخ عن توحيد الربوبية، ولعل ذلك لأمرين:

- أن توحيد الألوهية من أبرز ثمرات توحيد الربوبية.
- لبيان أن من أتى بتوحيد الربوبية على الوجه الصحيح لابد أن يأتي بتوحيد الألوهية على أكمل وجه وأتمه.

ثم شرع المصنف ﷺ في تقرير توحيد الربوبية، فصدر هذا التقرير بسؤال، وذلك بقوله: «فإذا قيل لك من ربك»، والسؤال عن الربوبية يكون عن آثار فعل الله ﷻ وتربيته لعباده، ولا يكون عن ذات الرب ﷻ. ولذلك عندما سأل فرعون موسى وهارون ﷺ:

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة طه:٤٩]، فكان جوابه بفعل الله في خلقه، قال موسى عليه السلام: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة طه:٥٠].

قال المصنّف رحمه الله: «**فإذا قيل لك من ربك**»: ومراد سؤال الشيخ هو: أفعال الله ﷻ وليس السؤال عن ذاته، أي إذا سألك سائل مسترشد باحث عن الحق أو سئلت في قبرك «من ربك؟» فقل متيقّناً: ربي الله، أي: أنني أربُّهُ وأقصده في جميع الحاجات، وهو مقصدي وموئلي، والرب مصدر ربّ يربُّ تربيةً، أي أنه ينشئ الشيء طورا بعد طور، فالله ﷻ هو رب العالمين ومالكهم، والمتصرف فيهم، والقائم على حاجاتهم، والرب لابد أن يكون واحداً، وأن يكون معبوداً بحق، وأن يُخص ويُفرد بجميع الأعمال، وأن يعظم وأن يمجد، وأن يوالا فيه ويعادى فيه، وأن يكون أهلاً للثناء المطلق، وهذا يستحيل أن يجتمع في غير الله، فتوحيد الربوبية هو علم القلوب، وهو السبيل إلى صحة توحيد الألوهية، **فإذا عُرف الآمر؛ عظمت الأوامر**، والرب علم على ذات الله ﷻ، وهو اسم مقرون بصفة، وهذه الصفة هي الربوبية، والربوبية هي: آثار فعل الله ﷻ وحده لا شريك له في خَلقِهِ، وهذه الصفة من صفات الله ﷻ الذاتية، **ومعنى الصفة الذاتية**: هي التي لا تنفك عن الله ﷻ، وهي أيضاً من الصفات الفعليّة لله ﷻ.

❖ مسألة: ما حكم التسمي باسم المربّي؟

الجواب: هذه مسألة شائكة يكثر فيها الخلط ما بين حق الله وحق الناس، وكثر فيها فساد التصور وضعف تنقيح المناطات لأن هذه المسألة شرعية عُرفية، وعلماء الأصول متفقون على أنه يجب تقديم الحقيقة الشرعية على الحقيقة العرفية، فكيف إذا كانت المسألة عقديّة بحتة ومن خصائص صفات الله ﷻ؟

والواجب في صفات الله: أن تصرف له وحده لا شريك له، ولذلك من كمال التوحيد أن لا يطلق اسم المربّي إلا على الله وحده لا شريك له، واتفق العلماء رحمهم الله على أنه لا يجوز إطلاق اسم الربّ معرّفاً بالألف واللام إلا على الله ﷻ، وأجازوه منكّراً لغير الله ﷻ تجويزاً

لغويّا لا شرعيّا، ولو قلنا أنه لا بأس بإطلاق اسم المربّي على غير الله ﷻ؛ فهو إطلاق بلا تقييد، وهذا مُحال في أصول العلم، فكل مطلق له مقيّد، وإذا أطلق للضرورة يُقدّر بقدرها، كالوالدين فهم مربون لأبنائهم، والإمام الشافعي ﷺ ذكر قاعدة علمية ثمينة: «**أن الأمر كلما اتسع ضاق**» (١)، فكيف والأمر من اتساع في اتساع مع مصاحبة التعظيم للمخلوقين، ومن فقه الإمام محمد بن عبد الوهاب ﷺ أنه عقد في كتاب التوحيد بابين عظيمين:

- «**باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه**» ولاحظ مقولة الشيخ: «ونحوه» أي: مثله، وما يقاس عليه، أي: يكون شبيها له في المعنى، قال ابن قاسم ﷺ في حاشية كتاب التوحيد: «وهذا كله صيانة وحماية لجناب التوحيد لمنافاة هذه الألفاظ لكماله، فيكون فيه شائبة من الشرك وإن لم يكن أكبر، ولا يخفى ما في إطلاقه على غير الله من الجرأة على الله، وسوء الأدب معه، فإن كلّ لفظ يقتضي التعظيم والكمال لا يكون إلا لله وحده جملة» (٢).
- «**باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك**». يقول العلامة ابن قاسم ﷺ: «وذلك من تحقيق التوحيد واحترامه» (٣).

– وربوبية الله لخلقه تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: ربوبيته بالنّعم، وهذه يستوي فيها المسلم والكافر، والبر والفاجر، قال تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ۝٢٠﴾ [سورة الإسراء: ٢٠].

- القسم الثاني: ربوبية أوليائه وأصفيائه، بأن أصلح لهم قلوبهم بالإيمان، وأنعم عليهم بنعمة الإسلام، ودبّر لهم أنواع الهداية، وأصلح لهم دينهم.

---

(١) انظر: الأشباه والأنظار للسيوطي ﷺ «٩٣».

(٢) انظر: حاشية كتاب التوحيد: «٣١٤».

(٣) المصدر السابق: «٣١٦».

قال المصنف ﷺ: «**فقل ربي الله الذي ربّاني وربّى جميع العالمين بنعمه**»: قوله: «فقل ربي الله»، فيه إظهار العزّة والفخر بعبادة الله ﷻ.

قوله: «الذي رباني»، والتربية تطلق ويراد بها العناية، والحفاظة، والقيام على الحاجات، والملك، والتصرف، وهي منقسمة بين الرب والمربوب، فالرب معبود، والعبد مربوب.

قال المصنف ﷺ: «**وهو معبودي ليس لي معبودٌ سواه**»: هذه الجملة فيها الاعتزاز بتمام العبودية لله ﷻ، والافتخار بذلك، كما قال الله حكايةً عن نبيّه ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [سورة الأنعام:١٦١].

قوله «وهو» ضمير الفعل، للدلالة على أنه لا رب إلا الله، ولا معبود إلا هو ﷺ، ثم عطف الألوهية على الربوبية فقال: «وهو معبودي» للدلالة على أنك إذا عرفت الله ﷻ؛ عبدتّه ووحّدتّه.

قوله «ليس»: أداة نفي، وفيها معنى «**لا إله**».

قوله: «لي» الآم: لام الملك، أي: أنني لا أملك أن أعبد **إلا الله**، والياء: ياء النسبة، كقول: النابلسي، نسبة إلى مدينة نابلس التي في أرض فلسطين.

قال المصنف ﷺ: «**والدليل قوله تعالى**: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [سورة الفاتحة:٢]»: الحمد هو: الثناء المتضمن للمحبة والتعظيم، فإذا كُرر مرة ثانية سمي ثناء، وإذا كرر مرة ثالثة سمي تمجيداً، والدليل على ذلك ما روى الإمام مسلم ﷺ في صحيحه في الحديث القدسي أن الله ﷻ قال: «**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين** .... الحديث» (١).

والعالمين: جمع عالم وهو: كل ما سوى الله ﷻ، كما ذكر قتادة ورجّحه القرطبي والنووي ﷺ.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم ﷺ في صحيحه، في كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة وإنه إذا لم يحسن الفاتحة ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها، «٣٩٥».

قال المصنف ﷺ: «**وكل ما سوى الله عالم وأنا واحد من ذلك العالم**»: أي: أنا واحد من العالم الذين يعبدونك وحدك لا شريك لك، وهذا هو التفسير الصحيح لقوله تعالى: «**العالمين**»، وسُمّوا بذلك لأنهم عَلَمٌ على الله، وهو أحد الأقوال عن ابن عباس ﷺ وكثير من أئمة التفسير، فالعلماء اختلفوا في معنى العالم، وهذا الخلاف مبني على عقائد مشهورة، فالمتكلمون لهم تعريف، والفقهاء لهم تعريف. والصحيح ما ذكرناه عن ابن عباس ﷺ.

قوله: «**وكل**»: هذه من صيغ العموم عند جماهير الأصوليين، وقيل: أنها من أبلغ صيغ العموم.

وقوله: «**ما**»: موصولة بمعنى: الذي.

وقوله: «**سوى**»: تأتي بمعنى غير.

فإذا قيل لك بما عرفت ربك؟ فقل: بآياته ومخلوقاته، ومن آياته: الليل، والنهار، والشمس، والقمر، ومن مخلوقاته: السماوات السبع ومن فيهن، والأرضون السبع وما فيهن، وما بينهما.

والدليل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة فصلت:٣٧]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة الأعراف:٥٤].

قال المصنف ﷺ: «**فإذا قيل لك بما عرفت ربك؟**»: أي إذا سألك سائل مسترشد باحث عن الحق، ما هي الأمور التي تدل على معرفة الله ﷻ؟ ومعرفة الله ﷻ تنقسم إلى قسمين:

- **القسم الأول**: معرفة عامة، وهي التي أشار إليها الإمام المجدد ﷺ بقوله: «بآياته ومخلوقاته».
- **القسم الثاني**: معرفة خاصة وتكون على عدة أوجه:

- معرفة الله بالله، كما قال عبد الله بن رواحة ﷺ: «لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا»[(١)].
- أن الله موجود حقيقةً.
- أنه معبود.
- معرفته بأسمائه وصفاته.
- معرفة الله بربوبيته المتضمنة للملك والخلق والتدبير والإحياء والإماتة.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري ﷺ في صحيحه، في كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، ح«٣٨٧٨».

قال المصنف ﷺ: «**فقل بآياته**»: شرع المصنف ﷺ في ذكر آيات الله ومخلوقاته الدالة عليه، بعد أن ذكر السؤال الدال على ربوبيته لخلقه، وهذه أول دلائل معرفة الله ﷻ الدالة عليه الآيات الكونية التي فيها آثار خلق الله ﷻ، وجمال ذلك الخلق الذي يعسّر على أي أحد أن يخلق مثله، والآيات: جمع آية وهي العلامة الدالة على الشيء، ولها مصدر ولها اشتقاق، فمصدرها: العلامة، كعلامات الساعة، واشتقاقها: مأخوذ من التأني والتثبت، والتمعن، تقول العرب تأنى، أي تثبت، فالمصدر والاشتقاق كلها تدل على ثبوت ورسوخ، والأمارة والعلامة الدالة على الله وحده لا شريك له، والإيمان به وأمارة الإيمان العمل بمقتضى ذلك الإيمان.

تنقسم الآيات إلى قسمين:

- آيات كونية: مثل الليل، والنهار، والكواكب.
- آيات شرعية: وهي التي جاء ذكرها في الكتاب والسنة، مثل: عصا موسى ﷺ، وقصة الذي مرّ على قرية وهي خاوية، قال تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ [سورة البقرة:٢٥٩].

ومعرفة الله ﷻ بآياته نوع من أنواع الأدلة العقلية التي يستدل بها في المسائل العلمية.

❖ **قاعدة: ليست كل آية مخلوقة، كالقرآن الكريم؛ لأن القرآن منزّل من عند الله ليس بمخلوق.**

❖ **قاعدة: أن الآيات ثابتة وباقية، وأن الآيات يؤتى بها لزيادة الإيمان وتثبيت المخلوقين، ويؤتى بها لإبهار المعاندين والمحاجّين.**

❖ **مسألة: ما هي مشروعية طرح مثل هذه الأسئلة على الناس؟**

الجواب: دلّ الكتاب والسنة وآثار السلف على مشروعية ذلك فقد أخرج الإمام البخاري ﵀ في جامعه الصحيح باب: «طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم»، حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﵄، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ المُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ**» فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ البَوَادِي قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «**هِيَ النَّخْلَةُ**»[(١)].

وضابط السؤال في أمور العقيدة: **أن يكون الغرض منه هو نفع الناس وتعليمهم لا التشويش عليهم والإفساد**.

وبعد التتبع والاستقراء وجدت أن الارتجال والخطابة هي الأصل في تعليم الناس، وطرح الأسئلة أبلغ في التعليم، واشترط أهل العلم في الإجابة على المسائل العقدية أن الرد يكون نقدا، وليس نسيئة.

قال المصنف ﵀: «**ومخلوقاته**»: والمخلوقات جمع مخلوق، وهو كل ما أوجده الله من العدم على غير مثال سابق، وفيه الحياة والحركة والنمو، وعطف الآيات على المخلوقات عطف يقتضي المغايرة، لأن الآيات منها ما هو مخلوق، ومنها ما هو غير مخلوق، مثل القرآن، فهو آية وليس بمخلوق، والقاعدة المشهورة: «**أن كل مخلوق آية، وليست كل آية مخلوقة**». والخلق: من أبرز خصائص الله ﷻ، وهو من ثمرات توحيد الربوبية، لأن الرب لابد أن يخلق، فإن لم يخلق فهو ليس رباً على الحقيقة.

---

(١) صحيح البخاري ﵀ ١/٢٢ ح«٦١».

❖ قاعدة في المخلوقات:

- أن المخلوقات ليست بدائمة، وليست مستمرة، بل تذهب وتأتي وتموت، ويُخلق غيرها.
- وأن الآيات مكان ظهورها في المخلوقات.

قال المصنف ﷺ: «**ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر، ومن مخلوقاته السماوات السبع ومن فيهن والأراضين السبع ومن فيهن وما بينهما، والدليل قوله تعالى:** ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة فصلت:٣٧]، **وقوله تعالى:** ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة الأعراف:٥٤]»: فرّق المصنف ﷺ ما بين الآيات والمخلوقات، ووجه هذا التفريق:

- لبيان أن الآيات مكان وجودها في المخلوقات.
- ولبيان أنه مع عظم خلقها لا تستحق العبادة، قال تعالى: ﴿لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ [سورة فصلت:٣٧].

والرب هو المعبود، والدليل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [سورة البقرة:٢١-٢٢]. قال ابن كثير ﷺ: «الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة».

قال المصنف ﷺ: «**والرب هو المعبود والدليل قوله تعالى**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [سورة البقرة:٢١-٢٢]، **قال ابن كثير** ﷺ: «**الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة**»»: وهذا الكلام ليس من كلام ابن كثير ﷺ نصاً، وإنما لخّصه المؤلف بهذه العبارة التي تؤدي إلى نفس المعنى، قال ابن كثير ﷺ في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [سورة البقرة:٢١-٢٢]: «شرع ﷻ في بيان وحدانية ألوهيته بأنه تعالى هو المنعم على عبيده بإخراجهم من العدم إلى الوجود، وإسباغه عليهم النعم الظاهرة والباطنة بأن جعل لهم الأرض فراشاً، أي: مهداً كالفراش، مقررة موطأة مثبتة بالرواسي الشامخات، ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ﴾ وهو السقف، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفَۢا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ٣٢﴾ [سورة الأنبياء:٣٢]، وأنزل لهم من السماء ماء، والمراد به: السحاب ههنا، في وقته عند احتياجهم إليه، فأخرج لهم به من أنواع الزروع والثمار ما هو مشاهد، رزقاً لهم ولأنعامهم، كما قرر هذا في غير موضع من القرآن. ومن أشبه آية بهذه الآية قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٤﴾ [سورة غافر:٦٤]، ومضمونه:

أنه الخالق الرازق مالك الدار وساكنيها، ورازقهم، فبهذا يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك به غيره؛ ولهذا قال: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾، وفي الصحيحين: عن ابن مسعود ﷺ قال: قلت: يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال: «**أن تجعل لله ندّا وهو خلقك...**» [١] وكذا حديث معاذ: «**أتدري ما حق الله على عباده؟ أن يعبدوه لا يشركوا به شيئا...**» [٢]، وفي الحديث الآخر: «**لا يقولن أحدكم: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن ليقل ما شاء الله ثم شاء فلان**» [٣].

وقال حماد بن سلمة: حدثنا عبد الملك بن عمير، عن ربعي بن حراش، عن الطفيل بن سخبرة أخي عائشة أم المؤمنين ﷺ لأمها، قال: رأيت فيما يرى النائم، كأني أتيت على نفر من اليهود فقلت: من أنتم؟ فقالوا: نحن اليهود، قلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون عزير ابن الله، قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد. قال: ثم مررت بنفر من النصارى، فقلت: من أنتم؟ قالوا: نحن النصارى، قلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله، قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد. فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته، فقال: «**هل أخبرت بها أحداً**»؟ فقلت: نعم، فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**أما بعد، فإن طفيلاً رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها، فلا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد! ولكن قولوا ما شاء الله وحده**» [٤].

---

(١) عمل اليوم والليلة لابن السني ﷺ ٦١٧/١ ح«٦٦٧».

(٢) متفق عليه.

(٣) أخرجه أبو داود ﷺ في سننه، في كتاب الأدب، باب لا يقال خبثت نفسي، «٤٩٨٠» قال الشيخ الألباني ﷺ: صحيح.

(٤) أخرجه ابن ماجه ﷺ في سننه، في كتاب الكفارات، باب النهي أن يقال ما شاء الله وشئت، «٢١١٨» قال الشيخ الألباني ﷺ: صحيح

وقال سفيان بن سعيد الثوري عن الأجلح بن عبد الله الكندي، عن يزيد بن الأصم، عن ابن عباس ﷺ، قال: قال رجل للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، فقال: «**أجعلتني لله نداً؟ قل: ما شاء الله وحده**» (١).

وهذا كله صيانة وحماية لجناب التوحيد -والله أعلم-.

وقال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﷺ، قال: قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ للفريقين جميعاً من الكفار والمنافقين، أي: «وحدّوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم» (٢).

وبه عن ابن عباس ﷺ: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ «أي: لا تشركوا بالله غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر، وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم يرزقكم غيره، وقد علمتم أن الذي يدعوكم إليه الرسول ﷺ من توحيده هو الحق الذي لا شك فيه» وهكذا قال قتادة (٣).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن عمرو بن أبي عاصم، حدثنا أبو عمرو، حدثنا أبو الضحاك بن مخلد أبو عاصم، حدثنا شبيب بن بشر، حدثنا عكرمة، عن ابن عباس ﷺ في قول الله ﷻ: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ قال: «الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل، على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن يقول: والله وحياتك يا فلان، وحياتي، ويقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلاناً! هذا كلّه به شرك» (٤).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ﷺ في مسنده، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب عن النبي ﷺ، «٢١٤/١»، «١٨٣٩» تعليق الشيخ شعيب الأرنؤوط ﷺ: صحيح لغيره

(٢) انظر: تفسير الطبري ﷺ «٢١٠/١».

(٣) انظر: تفسير الطبري ﷺ «٢١٤/١».

(٤) المصدر السابق.

فـي الـحديث: أن رجلا قال لرسول الله ﷺ ما شاء الله وشئت، فقال: «**أجعلتنـي لله نداً**» (١). وفـي الـحديث الآخر: «**نعم القوم أنتم لولا أنكم تنددون، تقولون: ما شاء الله وشاء فلان**» (٢).

قال أبو العالية رحمه الله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ «أي: عدلاء شـركاء». وهكذا قال الربيع بن أنس، وقتادة، والسدي، وأبو مالك، وإسماعيل بن أبي خالد رحمهم الله.

وقال مـجاهد رحمه الله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ قال: «تعلمون أنه إله واحد في التوراة والإنجيل».

ذكر حديث في معنى هذه الآية الكريمة:

قال الإمام أحـمد رحمه الله: حدثنا عفان، حدثنا أبو خلف موسى بن خلف، حدثنا يـحيـى بن أبي كثير، عن زيد بن سلام، عن جده ممطو، عن الحارث الأشعري، أن نبي الله ﷺ قال:

«**إن الله عز وجل أمر يـحيـى بن زكريا عليه السلام بـخمس كلمات أن يعمل بـهن، وأن يأمر بنـي إسرائيل أن يعملوا بـهن، وكان يبطئ بـها فقال له عيسى عليه السلام: إنك قد أُمرت بـخمس كلمات أن تعمل بـهن وتأمر بنـي إسرائيل أن يعملوا بـهن، فإما أن تبلغهن وإما أن أبلغهن، فقال: يا أخي! إني أخشى إن سبقتني أن أعذب أو يـخسف بي، قال: فجمع يـحيـى بن زكريا بنـي إسرائيل فـي بيت الـمقدس حتـى امتلأ الـمسجد، فقعد على الشرف، فحمد الله وأثنـى عليه ثـم قال: إن الله أمرنـي بـخمس كلمات أن أعمل بـهن وآمركم أن تعملوا بـهن، وأولـهن: أن تعبدوا الله لا تشركوا به شيئا، فإن مثل ذلك مثل رجل اشتـرى عبداً من خالص ماله بورق أو ذهب، فجعل يعمل ويؤدي غلته إلـى غيـر سيده، فأيكم يسره أن يكون عبده كذلك؟ وإن الله خلقكم ورزقكم، فاعبدوه ولا**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

تشركوا به شيئا! وأمركم بالصلاة؛ فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده ما لـــم يلتفت، فإذا صليتم فلا تلتفتوا! وآمركم بالصيام، فإن مثل ذلك كمثل رجل معه صرة من مسك فـــي عصابة، كلهم يـــجد ريح الـــمسك. وإن خلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح الـــمسك. وآمركم بالصدقة؛ فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو، فشدوا يديه إلـــى عنقه، وقدموه ليضربوا عنقه فقال لـــهم: هل لكم أن أفتدي نفسي؟ فجعل يفتدي نفسه منهم بالقليل والكثيـــر حتـــى فك نفسه. وآمركم بذكر الله كثيـــراً، وإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعا فـــي أثره، فأتى حصنا حصينا فتحصن فيه، وإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله»، قال: وقال رسول الله ﷺ: «**وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن: الجماعة، والسمع، والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله، فإنه من خرج من الـــجماعة؛ قيد شبـــر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، إلا أن يراجع ومن دعا بدعوى جاهلية فهو من جثي جهنم**». قالو: يا رسـول الله، وإن صـام وصـلى؟ فقال: «**وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم، فادعوا الـــمسلميـــن بأســـمائهم على ما ســـماهم الله ﷻ: المسلمين المؤمنين عباد الله**»[(١)].

قال ابن كثيـــر ﷺ: «وهذه الآية دالة على توحيده تعالـــى بالعبادة وحده لا شريك له، وقد استدل به كثيـر من الـمفسرين كالرازي ﷺ وغيـره على وجود الصانع، فقال: وهي دالة على ذلك بطريق الأولـى، فإن من تأمل هذه الـموجودات السفلية والعلوية، واختلاف أشكالـها وألوانـــها وطباعها ومنافعها، ووضعها فـــي مواضع النفع بـــها مـــحكمة؛ علم قدرة خالقه وحكمته وعلمه وإتقانه وعظيم سـلطانه، كما قال بعض الأعراب وقد سـئل: ما الدليل على وجود الرب تعالـى؟ فقال: يا سبحان الله! إن البعرة لتدل على البعيـر، وإن أثر الأقدام لتدل على الـمسيـر، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبـحار ذات أمواج، ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير؟

---

(١) أخرجه الترمذي ﷺ في سننه، في كتاب الأمثال عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة، «٢٨٦٣» قال الشيخ الألباني ﷺ: صحيح

وحكى فخر الدين عن الإمام مالك ﷺ أن الرشيد سأله عن ذلك، فاستدل باختلاف اللغات والأصوات والنغمات، وعن أبي حنيفة ﷺ أن بعض الزنادقة سألوه عن وجود الباري تعالى، فقال لهم: «دعوني فإني مفكر في أمر قد أخبرت عنه، ذكروا لي أن سفينة في البحر موقرة فيها أنواع من المتاجر، وليس بها أحد يحرسها ولا يسوقها، وهي مع ذلك تذهب وتجيء وتسير بنفسها وتخترق الأمواج العظام حتى تتخلص منها، وتسير حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقها أحد. فقالوا: هذا شيء لا يقوله عاقل، فقال: ويحكم! هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي والسفلي، وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة ليس لها صانع؟» فبهت القوم ورجعوا إلى الحق وأسلموا على يديه.

وعن الإمام الشافعي ﷺ: أنه سئل عن وجود الصانع فقال: «هذا ورق التوت، طعمه واحد، تأكله الدود فيخرج منه الإبريسم، وتأكله النحل فيخرج منه العسل، وتأكله الشاة والبعير والأنعام فتلقيه بعراً وروثاً، وتأكله الظباء فيخرج منها المسك، وهو شيء واحد».

وعن الإمام أحمد بن حنبل ﷺ أنه سئل عن ذلك فقال: «ههنا حصن حصين أملس، ليس له باب ولا منفذ، ظاهره كالفضة البيضاء، وباطنه كالذهب الإبريز، فبينا هو كذلك؛ إذ انصدع جداره فخرج منه حيوان سميع بصير، ذو شكل حسن وصوت مليح، -يعني بذلك البيضة إذا خرج منها الدجاجة».

وسئل أبو نواس عن ذلك فأنشد:

تأمل في نبات الأرض وانظر ... إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات ... بأحداق هي الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات ... بأن الله ليس له شريك

وقال ابن المعتز:

فيا عجبا كيف يُعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد

وقال آخرون: من تأمّل هذه السماوات في ارتفاعها واتساعها، وما فيها من الكواكب الكبار والصغار، المنيرة من السيارة ومن الثوابت، وشاهدها كيف تدور مع الفلك العظيم في كل يوم وليلة دويرة، ولها في أنفسها سير يخصها، ونظر إلى البحار الملتفة للأرض من كل جانب، والجبال الموضوعة في الأرض لتقر ويسكن ساكنوها مع اختلاف أشكالها وألوانها، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة فاطر:٢٧-٢٨]، وكذلك هذه الأنهار السارحة من قطر إلى قطر لمنافع العباد، وما ذرأ في الأرض من الحيوانات المتنوعة، والنبات المختلف الطعوم والأراييح والأشكال والألوان مع اتحاد طبيعة التربة والماء، علم وجود الصانع وقدرته العظيمة، وحكمته ورحمته بخلقه، ولطفه بهم، وإحسانه إليهم، وبره بهم، لا إله غيره ولا رب سواه، عليه توكلت وإليه أنيب، والآيات في القرآن الدالة على هذا المقام كثيرة جداً» (١).

قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ الأنداد: جمع ند، وهو الشبيه والمثيل.

وفي **الاصطلاح**: هو كلُّ من جذبك عن دين الإسلام من أهل أو مسكن أو عشيرة.

أصول التنديد غالباً جمعت في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة التوبة:٢٤].

لكي لا تصل المحبة الطبيعية إلى التنديد لابد من مراعاة ثلاثة أمور:

- عدم الطاعة في معصية الله.
- عدم التقديم على أمر الله.
- عدم المحبة كمحبة الله.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير رحمه الله «١/١٩٥».

وأنواع العبادة التي أمر الله بها مثل: الإسلام، والإيمان، والإحسان، ومنها: الدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرهبة، والخشوع، والخشية، والإنابة، والاستعانة، والاستعاذة، والاستغاثة، والذبح، والنذر، وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها؛ كلها لله تعالى، والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [سورة الجن:١٨].

قال المصنف ﷺ: «**وأنواع العبادة التي أمر الله بها**»: أي أوجبها على عباده، وجعلها شرطاً في صحة إسلام كل عبد، والأمر هنا: أمر شرعي لا أمر كوني، كما هو مذهب جمهور الأصوليين، وأنها تفيد الوجوب العيني، لذلك أكّد المصنف ﷺ على وجوبها بقوله: «التي أمر الله بها».

قوله: «**وأنواع**»: الواو استئنافية، أنواع جمع نوع، وهو الجنس الذي له أشكال وأجناس متعددة، ويقال هي مجموعة أصناف متشابهة في الجموع مختلفة في المضمون.

شرع المصنّف ﷺ في ذكر مسألة عظيمة، وهي مسألة العبادات القلبية، وأعمال تلك العبادات القلبية وأحكامها، والعبادات اسم جنس معرّف بالألف والآم يفيد العموم. والعبادة في **اللغة**: مأخوذة من التذلل والخضوع مع المحبة، **واصطلاحاً**: قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ في رسالة العبودية: «هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة»[(١)]، وهذا التعريف للعبادة من أفضل التعاريف.

والعبادة مبناها على أمرين:

- مسمى العبادة وهو ما سبق ذكره في تعريف شيخ الإسلام ﷺ.
- وفعل صاحب العبادة وهو العبد، ومبنى ذلك على أمرين: الإخلاص والمتابعة.

والعبادة لها **منطوق**، ولها **مفهوم**، ولها **حقيقة**:

– **فمنطوقها**: هو اسمها والتلفظ بها.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ﷺ «٢٥٧/٥».

– **ومفهومها**: وهو صرفها كاملة لله ﷻ، وصرف كل ما هو من معاني العبادة لله ﷻ.
– **وحقيقتها**: الذل والانكسار لله وحده لا شريك له.

وتنقسم العبادة إلى ثلاث أقسام:

- **عبادات قولية**: كالذكر وقراءة القرآن، وهذه مبناها على الإخلاص والمتابعة حتى لا يقع العبد في البدع والمحدثات.
- **عبادات عملية**: ومبناها على الإخلاص والمتابعة، حتى لا يقع العبد في البدع والهوى.
- **عبادات قلبية**: ومبناها على الإخلاص والمتابعة والصدق والمحبة والتعظيم، حتى لا يقع العبد في أمراض القلوب، وتكون للعبادة أثر على العبد في قلبه.

وتنقسم العبادة **من حيث النفع** إلى قسمين:

- **عبادات ذاتية قاصرة**: مثل الصلاة والصيام.
- **عبادات متعدية**: مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله، ومساعدة المحتاجين.

لابد من مراعاة أهم ركنين في العبادة:

- الركن الأول: **غاية المحبة**.
- الركن الثاني: **غاية الذل**.

كما قال ابن القيم ﷺ:

وعبادة الرحمن غاية حبه مع ذل عابده هما ركنان

ومن حيث الحكم فإن العبادة تنقسم إلى قسمين:

- **عبادات فرض عين**: مثل الصلوات الخمس، وبر الوالدين.
- **وعبادات فرض كفاية**: إذا قام بها البعض؛ سقطت عن الباقين: مثل صلاة على الجنازة.

والعبادة من حيث اسمها تطلق على **معنيين**:

- تطلق العبادة على **الأحكام العقدية**: كقضايا التوحيد والإيمان.
- وتطلق العبادة على **العبادات العملية**: مثل الوضوء والصلاة.

قسّم الله المخلوقات في العبادة إلى قسمين:

- **عبودية عامة**: وهي عبودية أهل السماوات والأرض، برّهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، كلهم لله ﷻ، فهذه عبودية القهر والملك، والدليل قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [سورة مريم:٩٣]، فهذه لا فضل فيها لأحد.
- **عبودية الطاعة والمحبة**: واتباع الأوامر واجتناب النواهي: قال تعالى:

﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [سورة الزخرف:٦٨]، وقال تعالى:

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [سورة الزمر:١٧-١٨]، وقال:

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [سورة الفرقان:٦٣]، وقال تعالى عن إبليس: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة ص:٨٢]، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [سورة الحجر:٤٢].

❖ مسألة: ما الفرق بين العبادة وتوحيد العبادة؟

الجواب: العبادة هي ما يطلق على الفعل، **وتوحيد العبادة** هو إفراد الله بذلك الفعل، فالعبادة أعم، والتوحيد أخص.

❖ **مسألة: ما الفرق بين العبادة والطاعة؟**

الـــــجواب: كل عبادة طاعة، وليســـت كل طاعة عبادة، فطاعتك لزوجتك ولأبنائك ولأصدقائك من الأمور الـــمباحة العادية، وليست من الأمور التعبدية، إلا إذا احتسبتها عند الله، فالعبادة أعم من الطاعة؛ لأن الطاعة مقتصرة على وقت معيـن وفعل معيـن، أما العبادة فإنها تكون في كل الأحوال وعلى كل الحالات.

قال الـــمصنف ﷺ: «**مثل: الإسلام والإيـــمان والإحسان ومنه الدعاء**»: أي أنـــها من العبادات المأمور بصرفها لله ﷻ.

قوله: «**مثل: الإسلام والإيمان والإحسان**»: سوف يأتي الحديث عنها في الأصل الثاني بمشيئة الله.

قوله: «**ومنه الدعاء**»: ومنه: الضميـــر يعود على العبادة، وفـــي هذا دليل ظاهر على أن الشيخ يرى أن العبادة أعم من الدعاء.

❖ **مسألة: اختلف العلماء ﷺ أيّهم أعمّ: العبادة أم الدعاء؟**

الـجواب: هذا خلاف قديـم ومعروف عند العلماء، وظاهر كلام الـمؤلف ﷺ: أن العبادة أعم من الدعاء، لأن الدعاء لا يصلح إلا بصلاح العبادة.

الدعاء لغةً: هو الطلب، واصطلاحاً: هو الطلب على وجه التعبد والتقرب والتعظيم.

والدعاء ينقسم إلى قسمين:

- دعاء مسألة: وهو ما صُدّر بياء النداء، أو باللهم.
- ودعاء عبادة: كالصلاة والصيام وجميع أنواع العبادات التي يطلب بها ما عند الله.

❖ **مسألة: ما الفرق ما بين دعاء المسألة ودعاء العبادة؟**

- أن دعاء المسألة بلسان المقال، ودعاء العبادة بلسان الحال.
- أن دعاء المسألة يجوز فيما يقدر عليه الناس، أما دعاء العبادة فلا يجوز صرفه إلا لله.
- أن دعاء المسألة ينقسم إلى قسمين، ودعاء العبادة لا يجوز فيه التقسيم.

❖ مسألة: متى يكون الدعاء شركاً؟

- يكون الدعاء شركا إذا طلب المخلوق من المخلوق جلب نفع أو دفع ضر مما لا يقدر عليه إلا الله، مثل: أن تطلب من المخلوق إنزال المطر، أو إحياء الموتى.
- إذا طلب العبد من الأموات ما كانوا يقدرون عليه في الدنيا: مثل أن تطلب من الميت أن يعطيك مالاً، وأن تطلب الشفاء من الميت.

❖ مسألة: متى يكون الدعاء بدعياً؟

- طلب الله ﷻ بجاه النبي ﷺ: مثل أن تتوسل إلى الله ﷻ بجاه النبي ﷺ، وقد ناقش هذه المسألة باستفاضة وتفصيل نفيس ليس له مثيل شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ في كتابه التوسل والوسيلة.
- التعدي في الدعاء: مثل قول الداعي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي.

❖ مسألة: ما حكم نداء الجن؟

الجواب: الأصل في هذه المسألة المنع سدا لباب الذريعة، لأن الجن من عالم الغيب، ولذلك دعاؤهم كدعاء الأموات الغائبين، ودعاء الجن يؤدي إلى عبادتهم، أو تعظيمهم، أو إنزالهم في منزلة ليست لهم، مثل اعتقاد جلب النفع المطلق، أو دفع الضر المطلق، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [سورة الأنعام:١٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [سورة الأنعام:١٠٠]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة فصلت:٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ [سورة الجن:٦]، وقال تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ ۖ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سورة سبأ:٤١].

❖مسألة: ما هي صفة الدعاء الشرعي؟

- قصد الله وحده لا شريك له في الدعاء.
- استحضار الخوف والرجاء.
- حسن الظن بالله.
- إجماع القلب على الله عند الدعاء.
- سؤال الله ﷻ بربوبيته، مثل أن تقول: يا ربِّ!، يا ربِّ! يا ربنا!
- تكرار الدعاء وعدم اليأس.
- الاعتراف بعبوديتك لله ﷻ وبراءتك من الشرك وأهله.
- التفصيل في الدعاء.
- دعاء الله خفية.
- عدم الصراخ ورفع الصوت في الدعاء.
- إظهار الذل والحاجة والمسكنة لله.
- الجُثوّ على الركب.
- الوضوء.
- استقبال القبلة.
- حمد الله والثناء عليه.
- الصلاة على النبي ﷺ.
- الاستغفار من جميع الذنوب.
- الحرص على جوامع الدعاء.
- طيب المطعم.
- طيب الملبس.
- عدم الاستعجال.
- دعاء الله والتوسل إليه بالعمل الصالح.
- مد اليدين لله ﷻ، وقد وردت خمس صفات في صفة مد اليدين:

١) أن تجعل ظهر كفيك إلى السماء وباطنهما إلى وجهك، وهو ما يسمى بالتقنع.
٢) أن تجعل الأنامل إلى السماء وباطن الكفين إلى وجهك، وظاهرهما إلى القبلة.
٣) جعل باطن الكفين إلى السماء وظاهرهما إلى الأرض.
٤) رفع الكفين إلى السماء، وهذا يفعل عند الاستسقاء، وعند الابتهال، وعند النزول إلى الحرب.
٥) الدعاء بظهر الكف، فقد ثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ استسقى فأشار بظهر كفيه إلى السماء [١].

- السفر الطويل.
- تجنب الدعاء بالسجع.
- أن يكون الداعي واثقاً من إجابته، قال تعالى: ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤﴾ [سورة مريم:٤].
- أن يرفع يديه وهو قائم.
- دعوة الوالدين لولدهم.
- دعاء المسلم لأخيه المسلم في ظهر الغيب.

❖ مسألة: المواطن والأحوال التي يُرجى فيها استجابة الدعاء؟

- الثلث الأخير من الليل.
- في أدبار الصلوات، على قول الجمهور أنه آخر الصلاة قبل السلام، واختار شيخ الإسلام أنه بعد السلام.
- بين الأذان والإقامة.
- في السجود.
- آخر ساعة من يوم الجمعة.
- عند نزول المطر.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم رحمه الله «١٧٦٣».

- عند المريض.
- عند المحتضر.
- عند السفر.
- الصائم عند فطره.
- عند التقاء الصفين في الحرب.
- عند الاضطرار.
- دعاء المظلوم.
- الدعاء والخطيب على المنبر يوم الجمعة بين الخطبتين.
- مجالس الذكر.
- عند شرب ماء زمزم.
- عند الملتزم.
- الدعاء لأخيك المسلم.
- دعوة الولد الصالح.
- دعوة أولياء الله ومن يحبهم الله ﷻ.
- يوم عرفة.
- عند صياح الديكة.
- الحاج والمعتمر.
- الغازي في سبيل الله.
- عند النداء للصلاة.
- عند البأس والتحام الصفوف.
- من نام وهو طاهر على ذكر الله.
- ليلة القدر.
- دعوة الإمام العادل.

- من دعا بدعوة ذي النون: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [سورة الأنبياء:٨٧].

- من دعا باسم الله الأعظم، والعلماء لهم فيه ثلاثة أقوال:

١) الله.

٢) يا رب.

٣) «يا حي يا قيوم» وهو قول الجمهور.

- الذاكر لله ذكراً كثيراً.

- بعد تلاوة القرآن الكريم.

- دعوة المستيقظ من النوم إذا دعا بالمأثور، عن عبادة ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «**مَن تعارَّ من الليل فقال حين يستيقظ: لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قدير، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله العلي العظيم، ربِّ اغفر لي، مَن قال ذلك غُفِرَ له، فإن دعا استُجيب له، فإن قام فتوضأ ثم صلَّى قُبِلَتْ صلاتُه**»[(١)].

- عند باب الكعبة.

- دعوة الوالدين لولدهم.

❖ مسألة: ما حكم الدعاء على المسلم؟

الجواب: الأصل المنع إلا ما ثبتت منه مظلمة تستحق الدعاء، لأنه من الحقوق المشروعة التي ينتصف بها المظلوم من الظالم، كما قال نوح عليه السلام: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ [سورة نوح:٢٦].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه، في كتاب أبواب التهجد، باب فضل من تعار من الليل فصلى، «١١٠٣».

❖ مسألة: ما حكم الدعاء على جميع الكفار؟

هذه المسألة فيها تفصيل:

من ظلم المسلمين وآذاهم وحاربهم؛ فهذا يجب الدعاء عليه، لعموم قول النبي ﷺ: «**لعن الله اليهود والنصارى! اتخذوا قبور أنبيائهم مساجدا**» [1]، وقنت النبي ﷺ شهراً، يدعو على رعل وذكوان، كما في صحيح البخاري، وكما قال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ﴾ [سورة المائدة:٧٨].

- إن كان من المسالمين وأهل الجزية، أو من المعاهدين، أو من المستأمنين؛ فهذا لا يدعى عليه بعينيه لعموم قوله تعالى: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨﴾ [سورة الممتحنة:٨].

❖ مسألة: ما حكم دعاء الأموات كقول: وا معتصماه! أو قول: أين أنت يا عمر؟

الجواب: الأصل في مثل هذه الألفاظ المنع صيانةً لجناب التوحيد، وخصوصاً إذا اعتقد أن النصر بأيديهم، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ١٠﴾ [سورة الأنفال:١٠].

قال المصنف رحمه الله: «**والخوف**»: تعريف الخوف: مأخوذ من خاف، يخاف، خوفاً، **واصطلاحاً**: هو توقع المكروه، وتألم القلب لوقوعه في المستقبل.

حكمه: فرض على كل أحد كما ذكره ابن القيم في مدارج السالكين [2]: وهو من الأقسام الثلاثة التي تقوم عليها العبادة، وهي: **الخوف، والرجاء، والمحبة**.

والخوف: إما أن يكون **بدعي**، أو **شرعي**.

فالخوف البدعي: ما أدّى إلى القنوط واليأس من رحمة الله.

---

(١) متفق عليه.

(٢) انظر: مدارج السالكين لابن القيم رحمه الله «٥٠٧/١».

والخوف الشرعي: الذي لم يحجبك عن طاعة الله.

والخوف ينقسم إلى ثلاثة أقسام، كما ذكر الشيخ العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله:

- **خوف السر**: وهو أن يخاف من غير الله من وثن أو طاغوت؛ خشية أن يصيبه بمكروه.
- **خوف محرّم** أو شركيّ: وهو أن يترك الإنسان ما أوجبه الله عليه خوفاً من بعض الناس، من لومهم أو أذاهم، فهو محرم، وهو نوع من أنواع الشرك، وهو سبب نزول هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾ [سورة آل عمران:١٧٣]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ٣٩﴾ [سورة الأحزاب:٣٩].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ليسأل العبد يوم القيامة حتى يقول ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكره؟ فإذا لقن الله عبدا حجته قال يا رب رجوتك وفرقت من الناس**» (١).

- **خوف طبيعي**: وهو الخوف من الأمور الطبيعية، كالنار، والعدو، ولا يترتب على ذلك الخوف صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله، والدليل قوله تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ﴾ [سورة القصص:٢١].

حكم الخوف من إظهار الحق: الناس في هذه المسألة ينقسمون إلى قسمين:

- **من كان مكره إكراهاً شديداً**: وهذا معذور بشرط أن يتحقق عنده وقوع المكروه، كما رجّح ذلك جماهير العلماء.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ﴾، «٤٠١٧» قال الشيخ الألباني رحمه الله: صحيح.

- **إذا كان علماً من أعلام الدين، ومرجعاً من مراجع الأمة التي أجمعت على أن الحق ما يقول**؛ فهذا إن أخذ بالرخصة أثم، كما هو اختيار الإمام أحمد والعز بن عبد السلام وشيخ الإسلام ﷺ. وإن كان هناك غيره من أهل العلم ممن يبين للناس الحق؛ فيشرع له الأخذ بالرخصة، وخصوصاً إذا عُرِض على الفتن، كما وقع لعمار بن ياسر ﷺ.

والخوف من أمور الوسائل لا المقاصد، كما ذكر ابن القيم ﷺ، والخوف يكون في الدنيا فقط وليس في الجنة خوف، قال تعالى: ﴿أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ [سورة فصلت:٣٠].

والخوف المحمود كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «هو ما حجزك عن محارم الله»[(١)]، وهو **الخوف التعبدي** الشرعي، وهو الخوف من الله ﷻ، ومن مقته وعقابه، **وضابط هذا الخوف**: أن لا تعلق قلبك بمخافة ولا هلع إلا من الله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [سورة آل عمران:١٧٥].

وهناك أشياء تتشابه مع الخوف، مثل: **الرهبة، والوجل، والخشية، والهيبة**.

فالرهبة: هي الخوف المستمر، **والوجل**: رجفان القلب، **والهيبة**: خوف مقرون بالتعظيم والإجلال مع المحبة والمعرفة، وأي واحدة من هذه مع الخوف تسمى هيبة.

❖ مسألة: ما حكم من يقول خاف من الله، وخاف ممن لا يخاف الله؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن هذه الكلمة لا تجوز»[(٢)].

❖ مسألة: ما حكم من يترك طاعة الله خشية الناس أو سخريتهم؟

الجواب: هذا الفعل من الشرك الأصغر، والدليل قوله تعالى: ﴿وَإِيَّىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة البقرة:٤٠].

---

(١) انظر: مدارج السالكين «١/٥١٤».

(٢) انظر: مجموع الفتاوى «١/٥٧-٥٨».

❖ **مسألة: ما حكم من ترك كثيـراً من الطاعات خشية خسارة شيء من دنياه، أو ضياع بعض من أغراضه ومآربه الشخصية؟**

الــجواب: هذا السؤال مثل سابقه بل أشد منه؛ لأنه قد يكون فــي قلبه صارف يصرف له نوع من أنواع العبادة، ويخْشى عليه أن يقع في حديث رسول الله ﷺ: «**تعس عبد الدينار، وتعس عبد الدرهم، وتعس عبد الــخميصة، وتعس عبد الــخميلة وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش، إن أعطي رضي؛ وإن لم يعط سخط**»(١).

❖ **مسألة: العلماء المحققين في مسائل العقيدة يطلقون على أمور الاحتياط بالحذر، ولا يطلقون عليها مصطلح الخوف:**

قال تعالـــى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [سورة النور:٦٣]، فلا تقل أنا أخاف أن يقع كذا، أو أخشى أن يقع كذا، ولكن قل: أنا أحذر.

قال الــمصنف رحمه الله: «**والرجاء**»: والرجاء فــي اللغة هو: السعة والاتساع، مثل قولك: أرجاء المعمورة.

واصطلاحاً: هو شدة الطمع والمحبة والنظر فيما عند الله.

والرجاء الشرعي: هو الرجاء الــمقرون بالعمل، وهذا مــحل إجــماع عند العلماء، يقول ابن القيم رحمه الله: «أجمع العارفون بالله أن الرجاء لا يصلح إلا بالعمل».

والرجاء الشركي: هو الطمع في مخلوق ميت؛ في شيء لا يقدر عليه إلا الله، كمن يرجوا الأموات والغائبين، فهذا شرك أكبر لا يرضاه الله.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه، في كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، «٢٧٣٠».

❖ مسألة: ما هو الفرق بين الدعاء والرجاء؟

الجواب:

- أن بينهم عموم وخصوص.
- أن الدعاء أعم من الرجاء.
- أن الدعاء: طلب، والرجاء: حسن الظن بالله.

❖ مسألة: ما هو الفرق بين الرجاء والتمني؟

الجواب: التمني مقرون بالكسل، والرجاء مقرون بالعمل، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [سورة الكهف: ١١٠].

قال المصنف رحمه الله: «**التوكل**»: تعريف التوكل لغةً: التفويض، وشرعاً: هو الاعتماد على الله اعتماداً جازماً في جلب الخير ودفع الشر، **حكمه**: فرض، كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، والتوكل محله القلب، ويجمع ما بين علم القلب وعمل القلب، ولا بد في التوكل من شرطين:

- **الأول**: تفويض الأمور كلها لله عز وجل.
- **الثاني**: فعل الأسباب التي أمر الله بها مع عدم التعلق بها.

والتوكل يكون شركاً إذا اعتمد العبد على المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله، كالذي يتوكل على المخلوق في إنزال المطر وغير ذلك فيما هو من خصائص الله عز وجل، والاعتماد على الأسباب من الشرك الأصغر، مثل: الثقة بكثرة الجيش في حصول النصر.

وهناك فرق ما بين **الارتياح** للأسباب، **والاعتماد** على الأسباب، مثل: شخص جهّز سيارته للسفر، ثم ارتاح لذلك فهذا لا بأس به.

❖ **مسألة: ما حكم قول: توكلت على الله ثم عليك؟**

الجواب: هذه اللفظة اختلف العلماء فيها على قولين:

- الجواز: ووجه ذلك: أنه جعلها من الأسباب.
- عدم الجواز: وهو قول المحققين من العلماء، كسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم وشيخنا ابن عثيمين والشيخ عبد الله بن جبرين ﷺ جميعهم قالوا: بأن التوكل عمل قلبي، وأعمال القلوب لا تتجزأ، ولأن «**ثم**» يؤتى بها فيما كان من جنسها، كما هو مشهور عند النحويين، وهنا قاعدة مهمة:

لا يجوز الجمع ما بين الله وخلقه في الضمائر وأدوات العطف.

والشريعة الإسلامية أمرت بالتوكل على الله ﷻ، قال تعالى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [سورة النمل:٧٩]، وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [سورة الفرقان:٥٨]، وقال تعالى: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ۝٢﴾ [سورة الإسراء:٢]، وهذا كله من حيث **المنطوق**، أما من حيث **المفهوم**: فإذا توكلت على غير الله؛ فأنت أتيت بمفهوم المخالفة وأبطلت التوكل.

وأصحاب القول الأول يأخذون بمفهوم النصوص من حيث مفهوم الموافقة، ولا يأخذون به من حيث مفهوم المخالفة، والقاعدة الأصولية تقول: «**إذا تعارض المنطوق مع المفهوم، قُدِّم المنطوق على المفهوم**»، بهذا يتبين لنا قوة القول الثاني.

فيكون وجه إنكار العلماء لهذه اللفظة:

أن التوكل له منطوق وله مفهوم، **فمنطوقه**: تفويض الأمور كلها لله، **ومفهومه**: أن جميع الأمور التي يتعاطاها الإنسان يكون متوكلاً فيها على الله، لا على غيره.

وجمهور الأصوليين على أن المنطوق مقدم على المفهوم، وإلا فكيف سنفهم قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٣﴾ [سورة المائدة:٢٣]، وقال تعالى: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ۝٢﴾ [سورة الإسراء:٢].

- أن التوكل **عمل قلبي**: والأصل في أعمال القلوب: أنها لا تتجزأ ولا تنقسم إلا مع ما كان من جنسها، مثل: المحبة والخوف والرجاء.
- أن أعمال القلوب لا يقبل أن يقال فيها بـ **ثمّ**، وما يجوز أن يقال فيه بـ **ثمّ** هو ما ينسب إلى البشر، قال ابن القيم ﷺ: «التوكل نصف الدين، والنصف الآخر الإنابة».
- أن سد الذرائع معمول به عند العلماء في كثير من أبواب الدين، وخصوصاً أبواب العقائد.

❖ مسألة: ما حكم قول: كن واثقاً من نفسك، أو: تجب الثقة بالنفس؟

الجواب: هذه العبارة مستوردة من غير المسلمين وتُصادم التوكل على الله تعالى، والتوكل من أعظم العبادات القلبية التي يجب أن نفرد الله بها، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣﴾ [سورة المائدة:٢٣]، وقال ﷺ: «**إذا استعنت؛ فاستعن بالله**» (١).

والثقة في النفس تتصادم مع معنى «**لا إله**»، إذ أن نفي النفس ونفي نسبة العلم والمعرفة لها أمر أساسي في فهم دين الله، والحصول على البركة، ورسوخ التوحيد في القلب.

قال تعالى على لسان الملائكة: ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٢﴾ [سورة البقرة:٣٢].

وصدق القائل:

إذا لم يكن عون من الله للفتى ... فأول ما يجني عليه اجتهاده

والنفس مأوى كل شرّ، فكيف يثق الإنسان بها؟ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [سورة يوسف:٥٣]، وقال تعالى: ﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ﴾ [سورة يوسف:٨٣]، والإنسان مأمور في القرآن الكريم أن ينهى النفس ويزجرها عن طغيانها، لا أن يثق بها قال تعالى:

---

(١) أخرجه الترمذي ﷺ في سننه، في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب، «٢٥١٦» قال الشيخ الألباني ﷺ: صحيح.

﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ۝٤٠﴾ [سورة النازعات:٤٠]، بل الواجبُ: سوء الظن بالنفس، قال ابن القيم ﷺ: «ولا يسيء الظن بنفسه إلا من عرفها، ومن أحسن ظنه بنفسه فهو من أجهل الناس بنفسه» (١).

وقد سئل سماحة الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ ﷺ: هل تجب الثقة بالنفس؟ فأجاب ﷺ: «لا تجب ولا تجوز الثقة بالنفس، وفي الحديث: «**ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين**» (٢)، من يقوله؟ أخشى أن هذا غلطة منك! -أي من السائل- لا أظن أن إنساناً له عقل يقول ذلك، فضلاً أن يكون من أهل العلم» (٣).

وقال العلامة الشيخ ابن قاسم ﷺ: «وجاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد: «**وأشهد أنك إن تكلني إلى نفسي؛ تكلني إلى ضيعة وعورة، وذنب، وخطيئة، وإني لا أثق إلا برحمتك**»» (٤).

قال الشيخ الفاضل عبد الرزاق ابن شيخنا العلامة المحدث عبد المحسن العباد: «ومِنَ الأخطاء الشَّائعة: الدَّعوة إلى الثِّقة بالنَّفس، والثِّقة توكّل، بل هي خُلَاصَةُ التوكّل ولبّه، وهو لا يكون إلا بالله، وفي الدعاء المأثور: «**اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو فَلاَ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ**»» (٥).

وبمثل هذا قال عامة مشايخنا المحققين من أمثال: شيخنا العلامة عبدالرحمن البراك، وشيخنا العلامة عبد الله الغنيمان.

---

(١) انظر: مدارج السالكين: «١/١٨٩».

(٢) أخرجه أبو داود ﷺ في سننه، في كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، «٥٠٩٠» قال الشيخ الألباني ﷺ: حسن الإسناد.

(٣) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم ﷺ «١/١٧٠».

(٤) المصدر السابق.

(٥) انظر: شرح المنظومة الميمية «٢٣٨».

ولقد بحثت في هذه المسألة أمداً طويلاً، فوجدت أن الحق مع المانع، وأن ذلك من قوادح التوكل.

نسأل الله أن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك، والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

❖ مسألة: هل هنالك فرق بين الوكالة والتوكل؟

الجواب: نعم، فالوكالة عمل دنيويّ جوارحيّ، لا دخل له في أعمال القلوب، ولا في أمور الآخرة، فيجوز إطلاقه، أما التوكل فهو من صميم أعمال القلوب، ومن أهم أعمال الآخرة.

قال المصنف ﷺ: «**والرغبة**»: وهي الطلب بلطف.

والرغبة مأخوذة من الطلب بلطف مع الطمع في النفع، وهي من جنس المحبة، وهي: ميل القلب إلى المحبوب مع دوام مشاهدة أحواله الحسية والمعنوية. وتكون الرغبة **شرعية**: إذا قُصد بها وجه الله وحده -لا شريك له-، وتكون **شركية**: إذا رَغِبْت من شخص بشيء لا يقدر عليه إلا الله فهذا شرك، وتكون **محرمة**: إذا كانت وسيلة إلى محرم، وتكون **مباحة**: إذا كانت رغبة دنيوية كالطمع في الوصول إلى شيء من أمور الدنيا المباحة.

❖ مسألة: ما الفرق ما بين الرغبة والرجاء؟

الجواب: الرجاء طمع، والرغبة طلب، وهي ثمرة الرجاء.

قال المصنف ﷺ: «**والرهبة**» وهي: الخوف المستمر من معدوم.

❖ مسألة: ما الفرق بين الرهبة والخوف؟

الجواب: أن الفرق بينهما زمني، أي: أن الرهبة مستمرة، والخوف غير مستمر، وهي أخص من الخوف، لأنها تؤدي إلى دوام الحركة والاضطراب المستمر، والخوف يكون من شيء متوقع، أما الرهبة فالخوف من شيء معدوم.

والخوف ينقسم إلى قسمين:

١- خوف طبيعي.

٢- وخوف تعبدي.

❖ **مسألة: ما الفرق ما بين الرهبة والخشية؟**

الجواب: أن الرهبة مقرونة بالعمل، والخشية مقرونة بالعلم.

قال المصنف ﷺ: «**والخشوع**»: الخشوع: مأخوذ من التذلل والسكون والتواضع، وهو من أعمال القلوب والجوارح، كما نص على ذلك عمر بن الخطاب ﷺ، قال: «لو خشع قلبه لخشعت جوارحه»، فينقسم الخشوع إلى قسمين:

- خشوع القلب.
- خشوع الجوارح.

وهذه كلها لا يجوز صرفها إلا لله، قال تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [سورة الأنبياء:٩٠]، وخشوع الجوارح: كالإنحناء بالرأس، وثني الظهر أمام من تخشع له، فهذا محرم ولا يجوز إلا لله وحده -لا شريك له-، ومثله إذا وقف العبد أمام عبد أو صنم معتقداً تمام الخشوع له، كما يخشع في صلاته، فهذا شرك أكبر والعياذ بالله، لأن خشوع الظاهر دليل على خشوع الباطن، وخشوع الجوارح من أعظم ثمرات التعظيم، لأنه إذا لم يُعظمْه، لن ينحني ويخشع له.

قال المصنف ﷺ: «**والخشية**»: وهي: الخوف المقرون بعلم من معين، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [سورة فاطر:٢٨]، وقال ابن القيم ﷺ: «فالخوف لعامة المؤمنين، والخشية للعلماء العارفين»، وهي من أهم أعمال القلوب وأعظمها عند الله ﷻ، والخشية يتضح مقامها عند وقوع المكروه، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى﴾ [سورة البقرة:١٥٠]، وقال تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ٣٩﴾ [سورة الأحزاب:٣٩]، وهي من أعظم ثمرات توحيد الربوبية، لأن العلم بالله من أعظم ما يحقق الخشية.

❖ مسألة: هل يجوز أن يقال: أنا أخشى فلاناً؟

الجواب: أن هذا يتنافى مع كمال التوحيد فلا ينبغي إطلاق مثل هذه العبارات، لأن الله ﷻ يقول في الحديث القدسي: «**إياي أحق أن تخشى**» (١)، والأفضل استبدالها بقول: أنا أحذر، أو أجتنب، أو أبتعد، -والله أعلم-.

قال المصنف ﷺ: «**والإنابة**»: وهي تكرار الرجوع والمداومة على التوبة من كل حال وفي كل حال.

قال ابن القيم ﷺ: «والإنابة إنابتان: إنابة **لربوبيته** وهي إنابة المخلوقات كلها، يشترك فيها المؤمن والكافر والبر والفاجر، وإنابة **أوليائه** وهي إنابة لإلهيته، إنابة عبودية ومحبة، وهي تتضمن أربعة أمور:

- **محبته.**
- **الخضوع له.**
- **الإقبال عليه.**
- **والإعراض عما سواه.**

فلا يستحق اسم المنيب إلا من اجتمعت فيه هذه الأربعة، وتفسير السلف لهذه اللفظة يدور على ذلك».

والإنابة لا تسمى إنابة إلا إذا كانت مقرونة باستسلام، وهي تكون **بالقلب والجوارح، فإنابة القلب**: هي التجافي عن دار الغرور، والطمع في دار السرور، **والإنابة بالجوارح**: بدوام تسخيرها في الطاعات، وتوظيفها في القربات.

---

(١) سبق تخريجه.

❖ **مسألة: ما الفرق ما بين الإنابة والتوبة؟**

الجواب: الفرق بينهما مجرد الوصف، إذ أن التوبة مقرونة بشروطها الوصفية المعروفة من فعل معين، والتوبة أعم من الإنابة، والإنابة لا يشترط لها ما يشترط للتوبة.

قال المصنف ﷺ: «**والاستعانة، والاستعاذة، والاستغاثة**»: قوله: «**والاستعانة**»: هي طلب المعونة والنصرة من قادر، وتنقسم إلى قسمين:

- طلب الاستعانة ممن لا يقدر عليها، فهذه شرك.
- طلب الاستعانة ممن يقدر عليها، فهذه ليست بشرك.

وقوله: «**والاستعاذة**»: وهي طلب اللَوْذ والحماية من أمر تخافه.

وقوله: «**والاستغاثة**»: وهي طلب العون وإزالة الشدة.

وهذه الثلاثة: «**الاستعانة، والاستغاثة، والاستعاذة**» تكون صحيحة إذا طُلبت من الله وحده لا شريك له، وتكون صحيحة إذا طُلبت في أمور دنيوية مما يُقدر عليها، وهي من جنس الدعاء، ومن أهم الفروق بينها: أنها إذا وقع فيها الشرك فلا يكون إلا أكبر في الغالب.

وشروط صحتها أربعة:

- **أن تكون من قادر.**
- **أن تكون من حي.**
- **أن يكون حاضر.**
- **أن تكون في أمر مشروع.**

وهذه الثلاثة الناس فيها على مرتبتين:

- من أتى بها كاملة من غير نقص ولم يطلبها من أحد إلا من الله، حتى في الأمور الجائزة: فهو يستعين ويستعيذ ويستغيث بالله وحده لا شريك له، أي: أنه توفرت فيه صفة الإجزاء وصفة الكمال، قال ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما:

«**إذا سألت فسأل الله، وإذا استعنت فستعن بالله**» [1]، وعلّم النبـــي ﷺ الصحابة ألا يسألوا الناس شيئاً مما هو جائز في أصله.

- من استعانوا واستعاذوا واستغاثوا بالله ﷻ، ومن استعانوا واستعاذوا واستغاثوا بالمخلوقين فيما يقدرون عليه مما هو جائز شرعاً: فهؤلاء أتوْا بأصل الإيمان ولم يأتوا بالمكمِّلات.

قال الـــمصنف ﷺ: «**والذبح**»: **لغة**: هو الشق والقطع، **واصطلاحاً**: هو إراقة الدم بنية مخصوصة، في وقت مخصوص، لأمر مخصوص، على وجه التعبد لله ﷻ.

الذبح ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

- ذبح **شركي**: وهو ما ذُبح لغير الله.
- ذبح **عبادة**: وهو ما يكون في المواسم التعبدية كالأضاحي والهدي.
- ذبح **جائز**: كإكرام الضيف، والتجارة، وغير ذلك من الأمور المباحة.

أنواع الذبائح الجائزة بالإجماع:

- ذبح العقيقة.
- ذبح الأضحية.
- ذبح النذر.
- ذبح الفدية.
- ذبح إكرام الضيف.
- ذبح اللحم للبيت «الثلاجة».
- ذبح الشكر لله ﷻ.

أنواع الذبح المحرم:

- الذبح عند طلعة السلطان «أي عند مروره من أمام الناس».

---

(١) سبق تخريجه.

- ذبح المفاخرة، فقد أخرج الإمام البيهقي ﷺ في شعب الإيمان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**المتباريان لا يجابان ولا يؤكل طعامهما**» [1]، قال الإمام البيهقي ﷺ في معنى المتباريين: «يعني المتعارضين بالضيافة فخراً أو رياءً»، ومنه ما تصنعه النساء من طعام لتفخر به على جارتها أو صديقتها.
- الذبح عند فوز فريق كرة القدم، وقد أفتى بحرمته سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز ﷺ وأنه من القمار.
- الذبح عند قدوم الضيف ودخوله للمنزل، والإعلان بأن هذه الذبيحة قد ذبحت له، لأن ذلك من صور الإهلال لغير الله، وإشعار أنها ذبحت تعظيماً للضيف؛ لا تعظيماً لله.
- الذبح عند نزول المنزل الجديد لدفع العين والحسد ولطلب حماية الجن للبيت.
- ذبح الذبيحة لفوز متسابقين أو فريقين، فهذا لا أصل له، ويخشى أن يكون ذُبح تعظيماً للفوز، أو ذبح تعظيماً للمتسابقين.
- الذبح لله في مكان ذبح فيه لغير الله أو كان فيه صنم أو وثن من أوثان الجاهلية.
- الذبح للزيران «الجن».

❖ مسألة: هل يكون في الذبح شرك أكبر وشرك أصغر؟

الجواب: لا، لأن كل ما يطلق عليه مسمى العبادة؛ لا يجوز صرفه لغير الله ﷻ، وصرفه لغير الله شرك أكبر.

قال المصنف ﷺ: «**والنذر**»: وهو أن يلزم المكلف نفسه بشيء لم يلزمه الشرع به.

وأصله: **المنع**، وجمهور العلماء على كراهيته، ويرى شيخ الإسلام ﷺ حرمته، لأنه شرع للأخذ من مال البخيل.

---

(١) أخرجه الإمام البيهقي ﷺ في شعب الإيمان «٦٠٦٨»، والديلمي في الفردوس «٦٦١٦» وقال الشيخ الألباني ﷺ: حسن لغيره.

ومن نذر وجب عليه أن يوفي بنذره ما لم يكن نذر بمحرّم، أو لا يقدر على الوفاء بالنذر، فإذا كان محرماً لا يلزمه شيء، وإذا كان لا يقدر على الوفاء به؛ تلزمه الكفارة، للحديث الذي في صحيح مسلم، قال رسول الله ﷺ: «**كفارة النذر كفارة اليمين**» (١).

❖ **مسألة: ما وجه إدخال النذر في أمور العقيدة؟**

الجواب: محل ذكر النذر هو كتب الفقه، ووجه إدخاله هنا: لاعتقاد كثير من الناس أنه لن يرزقه الله ﷻ إلا إذا نذر، وهو محرم ولا يجوز، وهذا من جنس الشرك الأصغر، وكذلك أيضاً لكثرة النذور عند الأضرحة والقبور.

قال المصنف ﷺ: «**وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلها لله**»: والشيخ ﷺ لا يقصد الحصر وإنما يقصد التنوع، وهذه العبادات التي ذكرها هي أساس العبودية، وعليها مدار صحة الاعتقاد، وهي مأمور بها أصلاً وتحقيقاً.

---

(١) أخرجه أبو داود ﷺ في سننه، في كتاب الأيمان والنذور، باب من نذر نذراً لم يسمه، «٣٣٢٣» قال الشيخ الألباني ﷺ: صحيح.

فمن صرف منها شيئا لغير الله؛ فهو مشرك كافر، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [سورة المؤمنون:١١٧]، وفي الحديث: «**الدعاء مخ العبادة**»، والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة غافر:٦٠]، ودليل الخوف قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [سورة آل عمران:١٧٥]، ودليل الرجاء قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [سورة الكهف:١١٠]، ودليل الرغبة، والرهبة، والخشوع، قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [سورة الأنبياء:٩٠]، ودليل الخشية قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ﴾ [سورة المائدة:٣]، ودليل الإنابة قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ [سورة الزمر:٥٤]، ودليل الاستعانة قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [سورة الفاتحة:٥]، وفي الحديث: «**إذا استعنت فاستعن بالله**»، ودليل الاستغاثة قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [سورة الأنفال:٩]، ودليل الذبح قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ﴾ [سورة الأنعام:١٦٢-١٦٣]، ودليل النذر قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾﴾ [سورة الإنسان:٧].

❖ مسألة: هل هذه العبادات التي ذكرها المصنف ﷺ تفيد الحصر؟

الجواب: ليست على سبيل الحصر، بل هناك عبادات أخرى وكثيرة جداً لم يذكرها الشيخ ﷺ، وإنما ذكر أعظمها وأهمها وأصلها، وما تسمى أصول العبادة.

❖ مسألة: هل يجب الإتيان بهذه العبادات التي ذكرها الشيخ؟

الجواب: نعم يجب الإتيان بها ومن لم يأت بها فهو إما كافر أو مشرك.

❖ **مسألة: لماذا ذكر الشيخ ﷺ هذه العبادات في أصل يتكلم فيه عن معرفة الرب؟**

الـــجواب: فيه بيان أن الربوبية مستلزمة للألوهية، وفيه امتحان واختبار لـــمن أقرّ بتوحيد الربوبية؛ هل سيقرّ بتوحيد الألوهية.

والـــمصنف ﷺ بعد أن قرّر أصول الإسلام وما يـــجب على العبد معرفته من أصول العلم والعمل، انتقل إلـــى أمر مهم وقضية عظمى، ألا وهي: قضية بناء الإيـــمان، فأول لِبنات الإيمان: **الإقرار بربوبية الله** ﷻ، وآثار تلك الربوبية من التربية الدينية والتربية الدنيوية، وتربية جـميع العالـم بالنعم، ثـم انتقل بعد ذلك إلـى اللبِنَة الثانية من لِبنات بناء الإيـمان، وهي: **معرفة الله**، والتـي يسميها العلماء «دلائل الإيـمان»، ثـم انتقل إلـى براهيـن ذلك الإيـمان ومدى انعكاسه على عقيدة العبد وسلوكه، وذلك فـي قوله «والرب هو الـمعبود»، ثـم انتقل إلـى أعمال القلوب وهي الـمرحلة الثالثة من مراحل بناء الإيـمان، وهذه الأعمال هي ثـمرة الإيـمان بالله ومعرفته، وهي ما تسمى عند أهل العلم: «**بـمنازل الطريق، وأحوال العارفيـن، ومقامات السائرين**»، فهذه الـــمنازل: منها ما هو **حال**، ومنها ما هو **مقام**، فقد رتّب ابن القيم ﷺ هذه الـمنازل ترتيباً بديعاً، فأوّل هذه الـمنازل: **منزلة الإنابة**، وهذه الـمنزلة تأتي بعد منزلة التوبة.

- الـمنزلة الثانية: **منزلة الـخوف**، وتأتي بعد منزلة السماع.
- الـمنزلة الثالثة: **منزلة الـخشوع**، وتأتي بعد منزلة الإشفاق.
- الـمنزلة الرابعة: **منزلة الـخشية**، والرهبة والـهيبة هذه كلها تأتي بعد منزلة الـخشوع.
- الـمنزلة الـخامسة: **منزلة الرجاء**، وهي بعد منزلة التبتل.
- الـمنزلة السادسة: **منزلة الرغبة**، وهي بعد منزلة الرجاء.

فالـــحب، والـــخوف، والرجاء، يسميها شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ بـــمحركات القلب، وآكدها منزلة الـــمحبة، فمن لـــم تـــحرّك قلبه هذه الأعمال؛ فقلبه **ميت** وليس بـــمريض، والمريض: **هو من يتحرّك تارة ويقف تارة أخرى،** وأما الميت فلا يتحرّك قلبه مطلقاً.

ثم شرع المصنف ﷺ في أقوال القلوب المقرونة بأفعالها، مثل الاستعاذة والاستعانة والذبح والنذر.

الأصل الثاني

معرفة دين الإسلام بالأدلة، وهو: الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

وهو ثلاث مراتب: الإسلام، والإيمان، والإحسان.

وكل مرتبةٍ لها أركان.

قال المصنف رحمه الله: «**الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام بالأدلة**»: الأصل الثاني من الأصول الثلاثة التي يجب على العبد معرفتها، والمعرفة هنا المراد بها: العلم بالشيء، قوله: «**بالأدلة**»: فيه إشارة إلى مسألة مهمة مشهورة بين العلماء، وهي مسألة التقليد في باب العقائد، وهذه المسألة تنقسم إلى قسمين:

- القسم الأول: مدرسة المتكلمين: فإنهم يرون وجوب النظر ويحرمون التقليد. وبهذا قال الرازي والآمدي وابن الحاجب، والسنوسي في أم البراهين.
- القسم الثاني: القول بالتفصيل في هذه المسألة كما سيأتي، وأشهر الأقوال في هذه المسألة ثلاثة أقوال:

١) **عدم التقليد مطلقاً**: لا في الفروع ولا في الأصول، وأبرز من قال بهذا القول: الظاهرية ومن نحا نحوهم، مثل: ابن حزم، والشوكاني، وغيرهم من العلماء رحمهم الله.

٢) **من لا يرون التقليد في المسائل** الظاهرة: وهي مسائل الأصول، مثل: وجود الله، ومثل أسئلة القبر الثلاثة، وأشهر من قال بذلك: شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وغيرهم من العلماء رحمهم الله، ويرون التقليد في المسائل الخفية التي خفي دليلها ولا يستطيع أن يجتهد فيها إلا العلماء.

٣) **من يرون التقليد المطلق إلى الموت**: وأن يكون العبد بين يدي سيده؛ كما يكون الميت بين يدي مغسله. والراجح القول الثاني بمشيئة الله تعالى.

قال المصنف ﷺ: «**وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله**»: عرف المصنف ﷺ الإسلام بهذا التعريف الجامع المانع، وقد اشتمل على أربع قواعد مهمة:

- **القاعدة الأولى**: الاستسلام لله بالتوحيد.

وفي هذه القاعدة بيان عبوديتين مهمتين:

- **عبودية الاستسلام**: والاستسلام يكون لله ولرسوله ﷺ.
- **عبودية الإخلاص**: وهو إفراد الله ﷻ بهذا الإسلام، فلا يشاركه فيه أحد، ولا يكون الإسلام إسلاماً حتى يكون مبناه على التوحيد، والبراءة من الشرك، والتنديد.

- **القاعدة الثانية: الانقياد له**: لا لغيره، فإذا انقاد الإنسان لغيره؛ كان مسلماً له طائعاً له.
- **القاعدة الثالثة: بالطاعة**: في هذه الجملة إشارة لطيفة، وهي: أن التقرب لله ﷻ بما يخالف أمره لا يسمى طاعة، كالبدع والمحدثات والمعاصي، وما يفعله الرافضة والصوفية من أفعال شركية وبدعية، فهذه لا تسمى طاعة، وكما أنه لا بد في الطاعة من الإتيان بما أمر، كذلك لا بد من اجتناب ما نهى عنه وزجر.
- **القاعدة الرابعة**: البراءة من الشرك وأهله: وتنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١) **البراءة منهم باللسان**، كأن تقول: اللهم إني أبرأ إليك من الشرك وأهله، قال تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ﴾ [سورة التوبة:٣].

٢) **البراءة القلبية من الشرك وأهله**: وتتضمن عدم حبهم والإعجاب بهم، وعدم الثناء عليهم، وتتضمن بغضهم وإهانتهم وعيب الكفر الذي هم فيه، قال تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ﴾ [سورة الحج:١٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ﴾ [سورة التوبة:٢٨].

٣) **البراءة من أفعال المشركين**: وتتضمن عدم التشبه بهم، وعدم تقليدهم، وعدم النظر إلى أفعالهم الدينية أو الدنيوية والإنبهار بها، قال تعالى:

﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ٥٥﴾ [سورة التوبة:٥٥].

فمن جاء بهذه الثلاثة فقد حقق البراءة من الشرك وأهله.

قال المصنف رحمه الله: «**وهو ثلاث مراتب: الإسلام، والإيمان، والإحسان**»: والمراتب ليست كالأقسام، لأن الأقسام يدخل بعضها في بعض، ويكون كل واحد منها قسيماً للآخر، أما **المرتبة**: فهي المنزلة المستقلة لوحدها.

المرتبة الأولى: الإسلام

قوله: «**الإسلام**»: سبق الحديث عن تعريفه.

- الإسلام ينقسم إلى قسمين:

- القسم الأول: **الإسلام العام**: وهو الدين الذي جاءت به جميع الرسل، قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [سورة آل عمران:٨٣].
- القسم الثاني: **الإسلام الخاص**: وهو كل ما جاء به الرسول ﷺ خاصاً بهذه الأمة، وأفضل تعريف للإسلام؛ هو ما عرفه به الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، فعرّفه بأنه: «الاستسلام لله بالتوحيد» أي: أن المعبود واحد وهو الله، ثم قال «والانقياد له بالطاعة»، والانقياد يكون بالباطن، والطاعة تكون بالظاهر، ثم قال: «والبراءة من الشرك وأهله»، هذا أصلٌ في صحة إسلام كل عبد؛ أن يتبرأ من المشركين كما مرّ معنا.

قال المصنف رحمه الله: «**وكل مرتبة لها أركان**»: الركن: هو ما يبنى عليه غيره، وما غيره بني عليه.

فأركان الإسلام خمسة: شهادة أن لا إله إلا لله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام.

فدليل الشهادة قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [سورة آل عمران:١٨].

ومعناها: لا معبود بحق إلا الله. «لا إله» نافيا جميع ما يعبد من دون الله، «إلا الله» مثبتا العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته، كما أنه ليس له شريك له في ملكه.

وتفسيرها الذي يوضحها: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [سورة الزخرف:٢٦-٢٧]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [سورة آل عمران:٦٤]، ودليل شهادة أن محمدا رسول الله: قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [سورة التوبة:١٢٨].

ومعنى شهادة أن محمدا رسول الله: طاعته في ما أمر، وتصديقه في ما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع.

قال المصنف ﷺ: «**فأركان الإسلام خمسة: شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمد رسول الله، وإقامُ الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام**»: **قوله: «شهادة أن لا إله إلا الله»**: وشهادة أن لا إله إلا الله لها ركنان، وهما: **النفي والإثبات**.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ﷺ: «اعلم رحمك الله أن معنى لا إله إلا الله: نفي وإثبات، لا إله: نفي، إلا الله: إثبات، تنفي أربعة أنواع، وتثبت أربعة أنواع».

المنفيات: الآلهة، والطواغيت، والأنداد، والأرباب.

- **فالآلهة:** كل ما قصدته بقلبك في جلب نفع أو دفع ضر مما لا يقدر عليه إلا الله، فقد اتخذته إلهاً.
- **والطواغيت:** كل ما عُبد من دون الله وهو راضٍ، أو ترشح للعبادة.
- **والأنداد:** كل ما جذبك عن دين الإسلام من مال، أو أهل، أو مسكن، أو عشيرة، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة:١٦٥].
- **والأرباب:** كل من أفتاك بمخالفة الحق وأطعته مصدقاً لذلك، والدليل قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة التوبة:٣١].

وتثبت أربعة أنواع:

- **الإخلاص:** كونك ما تقصد إلا الله.
- **والتعظيم** كونك ما تعظم إلا الله.
- **والمحبة:** لقوله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [سورة البقرة:١٦٥].
- **والخوف والرجاء:** لقوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [سورة يونس:١٠٧]» [1].

فمن عرف هذا؛ قطع العلائق من غير الله، ولا يكبر عليه جهامة الباطل، كما أخبر الله عن إبراهيم، على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، بتكسيره الأصنام، وتبريه من قومه، لقوله تعالى:

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ج٢/ ص١٢٢-١٢٣/. بتصرف يسير.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [سورة الممتحنة:٤].

❖ **فائدة: التعظيم: المراد به كونك لا تعظم إلا الله، وكل ما كان شعيرة من شعائر الله.**

والتعظيم ينقسم إلى ثلاث أقسام:

- الأول: **التعظيم باللسان:** فهذا يكون لله وحده لا شريك له، ويجب نفيه عن غير الله، مثل: الإطراء، والمدح، والثناء، قال النبي ﷺ: «**ليس أحد أحب إليه المدح من الله**»(١).
- الثاني: **التعظيم بالجنان:** وهو اعتقاد تعظيم الله وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾﴾ [سورة الجن:٣]، أي: تعاظم، وعلا قدره في قلوبنا.
- الثالث: **تعظيم الجوارح:** بالركوع، والسجود، والطواف، والقيام لله وحده لا شريك له.

وهذه الشهادة لها سبعة شروط:

١) العلم.

٢) اليقين.

٣) الإخلاص.

٤) الصدق.

٥) المحبة.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه، في كتاب التفسير، باب قوله ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾، «٤٣٥٨».

٦) القبول.

٧) الانقياد.

❖ **فائدة:**

- المراد **بالعلم**: هو العلم بالنفي والإثبات، قال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [سورة محمد:١٩].
- المراد **باليقين**: هو اليقين على النفي والإثبات قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥﴾ [سورة الحجرات:١٥].
- المراد **بالإخلاص**: هو الإخلاص في النفي والإثبات، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [سورة البينة:٥].
- المراد **بالصدق**: هو الصدق في النفي والإثبات، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [سورة التوبة:١١٩].
- المراد **بالمحبة**: هو محبة النفي والإثبات، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ [سورة البقرة:١٦٥].
- المراد **بالقبول**: هو قبول النفي والإثبات.
- المراد **بالانقياد**: هو الانقياد للنفي والإثبات، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥١﴾ [سورة النور:٥١].

قال المصنف رحمه الله: «**فدليل الشهادة قوله تعالى**: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾ [سورة آل عمران:١٨]، **ومعناها: لا معبود بحق إلا الله. «لا إله»: نافياً جميع ما يعبد من دون الله، «إلا الله»:**

مثبتاً العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته، كما أنه ليس له شريك في ملكه»: وتفسيرها الذي يوضحها؛ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة الزخرف:٢٦]، وقوله تعالى:

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [سورة آل عمران:٦٤].

قوله: «**ومعناها: لا معبود بحق إلا الله**»: هذا هو تعريف شهادة التوحيد، وفي هذا التعريف: بيان أهمية عبارة «**بحق**»، لأن هذه العبارة تنفي استحقاق العبودية عن غير الله، لأن هناك أصنام وأوثان تعبد من دون الله، لكنها غير مستحقة للعبادة، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة الحج:٦٢].

قال المصنف ﷺ: «**ودليل شهادة أن محمداً رسول الله: قوله تعالى**: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [سورة التوبة:١٢٨].

قال المصنف ﷺ: «**ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله**»: شرع المصنف ﷺ في ذكر ما يتعلق بشهادة أن محمداً رسول الله، فعرّفها برسمها لا بحدها، والتعريف عند علماء الأصول ينقسم إلى قسمين:

- تعريف الشيء برسمه.
- وتعريف الشيء بحده.

للعلماء في قبول التعريفات شرطان:

- أن يكون جامعاً.
- أن يكون مانعاً.

وشهادة أن محمد رسول الله قائمة على ركنين:

- **الركن الأول**: أنه عبدٌ لله: حتى لا يُغلى فيه، قال تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ [سورة الإسراء: ١].
- **الركن الثاني**: أنه رسول الله: حتى لا يكذب عليه، ولا يجفى معه، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣﴾ [سورة يس:٣].

وهذه الشهادة لها خمسة شروط:

قال المصنف ﷺ: «**طاعته فيما أمر**»: **هذا هو الشرط الأول، والأوامر** تنقسم إلى قسمين:

- القسم الأول: أوامر وجوب وإلزام.
- والقسم الثاني: أوامر ندب واستحباب.

قال المصنف ﷺ: «**وتصديقه فيما أخبر**»: **وهذا الشرط الثاني**، ويكون بعدم تكذيبه، أو التشكيك في أوامره، أو الاحتيال على دينه.

قال المصنف ﷺ: «**واجتناب ما نهى عنه وزجر**»: **وهذا الشرط الثالث**، والنهي ينقسم إلى قسمين:

- نهي تحريم ومنع.
- ونهي كراهة.

قال المصنف ﷺ: «**وألا يعبد الله إلا بما شرع**»: **وهذا الشرط الرابع**، والتشريع يؤخذ من قوله وإقراره وفعله ﷺ.

الشرط الخامس: وجوب تقديم محبته على النفس، والمال، والأهل، والناس أجمعين، لما جاء في الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب ﷺ.

ثم شرع المصنف ﷺ في سرد الأدلة.

ودليل **الصلاة، والزكاة، وتفسير التوحيد:** قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [سورة البينة:٥].

ودليل **الصيام:** قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝١٨٣﴾ [سورة البقرة:١٨٣].

ودليل **الحج:** قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٩٧﴾ [سورة آل عمران:٩٧].

المرتبة الثانية: الإيمان، وهو بضع وسبعون شعبة، أعلاها: قول لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان. وأركانه ستة: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره. والدليل على هذه الأركان الستة: قوله تعالى: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [سورة البقرة:١٧٧]، ودليل القدر: قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة القمر:٤٩].

المرتبة الثانية: الإيمان

قال المصنف رحمه الله: «**المرتبة الثانية: الإيمان، وهو بضع وسبعون شعبة**».

تعريف الإيمان **لغة**: التصديق مع الإقرار المستلزم للقبول والإذعان، **واصطلاحاً**: قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان، يزيد بالطاعة، وينقص بالعصيان.

والإيمان له **حقيقة** وله **معنى**، **فحقيقة الإيمان**: أركانه الستة، **ومعنى الإيمان**: مكملاته.

قوله: «**وهو بضع وسبعون شعبة**»: والبضع من ثلاثة إلى تسعة.

وأركان تحقيق الإيمان ثلاثة:

- الركن الأول: المحبة والتعظيم.
- الركن الثاني: الخوف والرجاء.
- الركن الثالث: اليقين والتوكل.

قال ابن القيم رحمه الله: فالإيمان عمل القلب، كما أن الإسلام عمل الجوارح.

قال المصنف رحمه الله: «**أعلاها: قول لا إله إلا الله**»: أي أعلاها في الفضل والمنزلة والأثر.

قال المصنف رحمه الله: «**وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**»: أي أنها دون لا إله إلا الله، وفيه الجمع بين القول والعمل، وأن شعب الإيمان مترابطة.

قال المصنف ﷺ: «**والحياء شعبة من الإيمان**»: أي أن الحياء من مكملات الإيمان، وأنه من محاسن الطبع.

قال المصنف ﷺ: «**وأركانه ستة: أن تؤمن بالله**»: الإيمان بالله يقتضي أربعة أمور:

- الإيمان بوجود الله حقيقة: ويدل على وجود الله أربعة أدلة:

١) العقل.

٢) الحسّ.

٣) الفطرة.

٤) الشرع.

- الإيمان بربوبية الله.
- الإيمان بألوهية الله.
- الإيمان بأسمائه وصفاته ونعوت جلاله.

قال المصنف ﷺ: «**وملائكته**»: والملائكة في اللغة: من الألوكة: وهي الإرسال، والإيمان بالملائكة يتضمن أمور:

- أن الملائكة عالم غيبي.
- أن الله خلقهم من نور.
- أنهم ليسوا بذكور ولا إناث.
- أنهم مطيعون لله لا يعصونه.
- أن لهم أرواح.
- أن لهم أجساد.
- أن لهم عقول.
- أن لهم قلوب.
- نؤمن بهم إجمالاً.
- ونؤمن بما علّمنا الله من أسمائهم، وأوصافهم، وأعمالهم.

قال المصنف ﷺ: «**وكتبه**»: والكتب هنا المراد بها: الصحف المقدسة، كالقرآن، والزبور، والتوراة، والإنجيل.

والإيمان بالكتب يتضمن أمور:

- أنها منزلة من عند الله.
- أن الله تكلم بها حقيقة.
- أن ما فيها ألفاظ وحروف من كلام الله ﷻ ليس للمخلوقين إلا الأصوات، والصوت صوت القارئ، والكلام كلام الباري.
- أن آخرها نزولا: القرآن.
- أن القرآن أتى ناسخاً لها.
- أنه لا يجوز قراءتها والتعبد لله بها. قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [سورة المائدة:٤٨]. فكلمة: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ تقتضي أن القرآن الكريم ناسخ لجميع ما سبقه من الكتب.

قال المصنف ﷺ: «**ورسله**»: والرسل: جمع رسول، وهو في اللغة: من الإرسال والإطلاق، أما في الاصطلاح: هو من أوحي إليه بشرع، وأُمر بتبليغه، وأتى مكمّلا لشرع من كان قبله.

والإيمان بالرسل يقتضي أمور:

- أنهم مبعوثون من عند الله.
- أن طاعتهم واجبة.
- أنهم بشر كالبشر.
- أنهم عبيد لا يُعبدون، وأنهم أنبياء لا يُكذّبون.
- لا يجوز أن يصرف لهم أي نوع من أنواع العبادة.
- أنه يستحب السلام عليهم عند ذكر أسمائهم المجرّدة.
- أن خاتمهم: محمد ﷺ.

- أن وظيفتهم: دعوة الناس إلى التوحيد، ونذارتهم عن الشرك.

قال المصنف ﷺ: «**واليوم الآخر**»: وسمي اليوم الآخر بهذا الاسم لأنه لا يوم قبله مثله، ولا يوم بعده مثله. والإيمان باليوم الآخر يتضمن أمور:

- الإيمان بحقيقة هذا اليوم.
- الإيمان بأننا سوف نلاقيه.
- الإيمان بالدلائل على اليوم الآخر من الموت وأشراط الساعة.
- الإيمان بما نعلمه عن ذلك اليوم وما لا نعلمه عن ذلك اليوم.
- أن نؤمن به ونقرّه بلا تكييف ولا تعطيل على حد ما ورد في التنزيل.

قال المصنف ﷺ: «**والقدر خيره وشره**»: القدر: هو كل ما قدّره الله على العبد من خير أو شر.

ومراتب الإيمان بالقدر أربعة:

- **العلم.**
- **الكتابة.**
- **المشيئة.**
- **الخلق.**

الـــمرتبة الثالثة: الإحسان ركن واحد، وهو: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لـــم تكن تراه فإنه يراك. والدليل: قوله تعالـــى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ [سورة النحل:١٢٨]، وقوله تعالـــى: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٢١٧ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ٢١٩﴾ [سورة الشعراء:٢١٧-٢١٩]، وقوله تعالـــى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ﴾ الآية. [سـورة يونس:٦١]، والدليل من السنة: حديث جبـريل الـمشهور: «بيْنَما نَـحْنُ عِنْدَ رَسولِ اللهِ ﷺ ذاتَ يَومٍ، إذْ طَلَعَ علَيْنا رَجُلٌ شَدِيدُ بَياضِ الثِّيابِ، شَدِيدُ سَوادِ الشَّعَرِ، لا يُرَى عليه أثَرُ السَّفَرِ، ولا يَعْرِفُهُ مِنَّا أحَدٌ، حتَّى جَلَسَ إلى النبـيِّ ﷺ، فأسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إلى رُكْبَتَيْهِ، ووَضَعَ كَفَّيْهِ علَى فَخِذَيْهِ. وَقالَ: يا مُـحَمَّدُ أخْبِـرْنـي عَنِ الإسْلامِ، فقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «**الإسْلامُ أنْ تَشْهَدَ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وأنَّ مُـحَمَّدًا رَسولُ اللهِ، وتُقِيمَ الصَّلاةَ، وتُؤْتِـيَ الزَّكاةَ، وتَصُومَ رَمَضانَ، وتَـحُجَّ البَيْتَ إنِ اسْـتَطَعْتَ إلَيْهِ سَـبِيلًا**»، قالَ: صَـدَقْتَ، قالَ: فَعَجِبْنا له يَسْـأَلُهُ، ويُصَـدِّقُهُ، قالَ: فأخْبِـرْنِـي عَنِ الإيـمانِ، **قالَ**: «**أنْ تُؤْمِنَ باللَّهِ، ومَلائِكَتِهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، والْيَومِ الآخِرِ، وتُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيْـرِهِ وشَرِّهِ**»، قالَ: صَدَقْتَ، قالَ: فأخْبِـرْنـي عَنِ الإحْسانِ، **قالَ**: «**أنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأنَّكَ تَراهُ، فإنْ لَـــمْ تَكُنْ تَراهُ فإنَّه يَراكَ**»، قالَ: فأخْبِـــرْنِـــي عَنِ السَّاعَةِ، **قالَ**: «**ما الـمَسْؤُولُ عَنْها بأعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**» قالَ: فأخْبِرْنِي عن أمارَاتِها، **قالَ**: «**أنْ تَلِدَ الأمَةُ رَبَّتَها، وأنْ تَرَى الـحُفاةَ العُراةَ العالَةَ رِعاءَ الشَّاءِ يَتَطاوَلُونَ فـي البُنْيانِ**»، قالَ: ثُـمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُـمَّ قالَ لِـي: «**يا عُمَرُ! أتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟**» قُلتُ: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: «**فإنَّه جِبْـرِيلُ أتاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**» (١).

---

(١) أخرجه الإمام مسلم رحمه الله ح«٨».

الـمرتبة الثالثة: الإحسان

قال الـمصنف رحمه الله: «**الـمرتبة الثالثة: الإحسان، وهو ركن واحد، وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لـــم تكن تراه فإنه يراك، والدليل قوله تعالـــى:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ [سورة النحل:١٢٨]، **وقوله تعالـى:** ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٢١٧ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ٢١٩﴾ [سورة الشعراء:٢١٧-٢١٩]، **وقوله تعالـــى:** ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٍ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ﴾ [سورة يونس:٦١]»: الإحسان له ركن واحد وقد عرّف رسول الله ﷺ الإحسان بقوله: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّه يَرَاكَ**»، ولهذا الركن مقامين مهمين وهما:

- مقام الاستحضار.
- ومقام الاطلاع.

فمقام الاستحضار: أن يعبد الـمؤمن ربّه وهو يشعر أن الله -تعالـى- يراه ويستحضر ذلك بقلبه وفكره، وهذا المقام هو الأرفع والأعظم.

ومقام الاطّلاع: ويكون عندما لا يتمكن العبد من عبادة الله وكأنّه يراه، فيعبده وهو موقن ومتيقظ لكون الله -تعالى- مطلع عليه ويرى جميع أفعاله مهما دقت وصغرت.

الإحسان **في اللغة:** الإتقان والإجادة، **واصطلاحاً:** قد عرفه الرسول ﷺ في حديث جبريل المشهور، وهو نفس التعريف الذي ذكره المصنف رحمه الله: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» (١).

---

(١) متفق عليه.

❖ مسألة: هل هذه الأركان تفيد الحصر، أم هناك أركان أخرى غيرها؟

الجواب: هذه الأركان الستة تفيد الحصر؛ لأنها تتكلم عن بناء الإيمان في الفرد، أما غيرها فهو محمول على بناء المجتمع الإسلامي، وهذا تبيّن بعد دراسة لكثير من الأحاديث، مثل: قوله ﷺ «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه**» (١).

وقوله ﷺ «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن**»، قيل: من يا رسول الله؟ قال: «**الذي لا يأمن جاره بوائقه**» (٢). ولا شك بأن المراد به هنا نفي كمال الإيمان.

قال المصنف ﷺ: «**والدليل من السنة: حديث جبريل المشهور**، بيْنَما نَحْنُ عِنْدَ رَسولِ اللهِ ﷺ ذاتَ يَوم، إذْ طَلَعَ علَيْنا رَجُلٌ شَدِيدُ بَياضِ الثِّيابِ، شَدِيدُ سَوادِ الشَّعَرِ، لا يُرَى عليه أثَرُ السَّفَرِ، ولا يَعْرِفُهُ مِنَّا أحَدٌ، حتَّى جَلَسَ إلى النبيِّ ﷺ، فأسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إلى رُكْبَتَيْهِ، ووَضَعَ كَفَّيْهِ علَى فَخِذَيْهِ. وَقالَ: يا مُحَمَّدُ أخْبِرْنِي عَنِ الإسْلامِ، فقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ:

«**الإسْلامُ أنْ تَشْهَدَ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللهِ، وتُقِيمَ الصَّلاةَ، وتُؤْتِيَ الزَّكاةَ، وتَصُومَ رَمَضانَ، وتَحُجَّ البَيْتَ إنِ اسْتَطَعْتَ إلَيْهِ سَبِيلا**»، قالَ: صَدَقْتَ، قالَ: فَعَجِبْنا له يَسْأَلُهُ، ويُصَدِّقُهُ، قالَ: فأخْبِرْنِي عَنِ الإيمانِ، قالَ: «**أنْ تُؤْمِنَ باللَّهِ، ومَلائِكَتِهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، والْيَومِ الآخِرِ، وتُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ**»، قالَ: صَدَقْتَ، قالَ: فأخْبِرْنِي عَنِ الإحْسانِ، قالَ: «**أنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأنَّكَ تَراهُ، فإنْ لَمْ تَكُنْ تَراهُ فإنَّه يَراكَ**»، قالَ: فأخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قالَ: «**ما المَسْؤُولُ عَنْها بأعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**» قالَ: فأخْبِرْنِي عن أمارَاتِها، «**قالَ: أنْ تَلِدَ الأمَةُ رَبَّتَها، وأنْ تَرَى الحفاةَ العُراةَ العالَةَ رِعاءَ الشَّاءِ يَتَطاوَلُونَ في البُنْيانِ**»، قالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قالَ لِي: «**يا عُمَرُ! أتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟ قُلتُ: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: فإنَّه جِبْرِيلُ أتاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**» (٣)، وقد سمى الإمام القرطبي ﷺ في شرحه على صحيح مسلم هذا الحديث «بأم السنة». وصدق فإنه حديث عظيم الموقع جليل المكانة.

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه الإمام البخاري ﷺ في صحيحه، في كتاب الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه، «٥٦٧٠».

(٣) متفق عليه.

الأصل الثالث

معرفة نبيكم محمد ﷺ، وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل السلام. وله من العمر ثلاث وستون سنة، منها: ثلاث وعشرون نبيا ورسولاً، نُبِّئ بإقرأ، وأرسل بالمدثر، وبلده: مكة. بعثه الله بالنذارة عن الشرك، ويدعو إلى التوحيد، والدليل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧﴾ [سورة المدثر:١-٧]. ومعنى ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢﴾: ينذر عن الشرك، ويدعو إلى التوحيد. ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣﴾: أي طهر أعمالك عن الشرك. ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥﴾: الرجز: الأصنام، وهجرها: تركها، والبراءة منها وأهلها. أخذ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد، وبعد العشر عرج به إلى السماء، وفرضت عليه الصلوات الخمس، وصلى في مكة ثلاث سنين، وبعدها أمر بالهجرة إلى المدينة. والهجرة: فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، وهي باقية إلى أن تقوم الساعة، والدليل: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ۝٩٧ إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا ۝٩٨ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوّٗا غَفُورٗا ۝٩٩﴾ [سورة النساء:٩٧-٩٩]، وقوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ۝٥٦﴾ [سورة العنكبوت:٥٦]، قال البغوي: «سبب نزول هذه الآية: في المسلمين الذين بمكة لم يهاجروا، ناداهم الله باسم الإيمان».

والدليل على الهجرة من السنة: قوله ﷺ: «**لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها**»[1].

---

(١) أخرجه أبو داود رحمه الله في سننه، في أول كتاب الجهاد، باب في الهجرة هل انقطعت، «٢٤٧٩٠» قال الشيخ الألباني رحمه الله: صحيح.

قال المصنف رحمه الله: «**معرفة نبيكم محمد ﷺ، وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام**»: والواجب في معرفة النبي ﷺ **أربعة** أمور:

- معرفة اسمه الأول فقط: وهو محمد ﷺ كما ذكره الله تعالى في كتابه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾ [سورة الفتح:٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ﴾ [سورة آل عمران:١٤٤].
- أنه رسول من عند الله، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾ [سورة التوبة:٣٣].
- أن ما جاء به حق، وما ينطق به صدق، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [سورة النجم:٣-٤].
- أنه بُعِثَ بالنذارة عن الشرك، والدعوة إلى التوحيد.

قال المصنف رحمه الله: «**والهجرة: الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، وهي باقية إلى أن تقوم الساعة، والدليل قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ۝٩٧ إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا ۝٩٨﴾ [سورة النساء:٩٧-٩٨]»: تعريف الهجرة **لغةً**: هي التحول والانتقال والترك، **واصطلاحاً** لها معنيان:

– المعنى الأول «عام»: وهو ترك ما نهى الله عنه إلى ما أمر الله به.

– المعنى الثاني «خاص»: الذي عرّفه به المؤلف رحمه الله.

حكمها: فرض على كل مسلم.

والهجرة تنقسم إلى قسمين:

- القسم الأول: **الـــهجرة الـــحسية:** وهي الانتقال من بلد الكفر إلـــى بلد الإسلام وهي فريضة على كل مسلم لا يستطيع أن يظهر دينه.
- القسم الثاني: **الهجرة المعنوية:** وهي مفارقة المشركين، وعدم محبتهم، وترحل القلب عن مـــحبة أو موالاة من يبغضه الله ورسوله، وهذه الـــهجرة واجبة باتفاق أهل العلم، كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم والمحققين من أهل العلم.

والهجرة باقية بجميع أنواعها، ومن أنواعها:

- الهجرة من بلاد الشرك والكفر إلى بلاد الإسلام، وهو أصل تشريع الهجرة.
- الـــهجرة من بلاد البدع الظاهرة، كبدعة القدرية، وسب الصحابة، ورأي الـــخوارج، فهي على الصحيح واجبة، وهو ظاهر فعل الصحابة وأئمة السلف، كما خرج الـــــخرقي من بغداد عندما سُبَّ الصحابة ﷺ.
- الهجرة من بلاد المعاصي الظاهرة: كالربا، وشرب الخمر، وغير ذلك من الكبائر، ففي هذه المسألة خلاف قوي بين العلماء، وأشهر الأقوال في هذه المسألة قولان:

١) القول بالوجوب، وقال به ابن العربي المالكي ﷺ.

٢) أنـها تـجب على العلماء الذين لا يـحتاج إليهم إظهاراً منهم لإنكار الـمنكر، كما فعل العز بن عبد الســـلام ﷺ عندما خرج من البلاد وتبعه الناس، وكما هدد عمر ﷺ أهل المدينة في قصة الزلزال المشهورة، وقال: «يا أهل المدينة! إن رجفت الأرض بكم والله لا أساكنكم فيها أبداً»، وكما خرج موسى ﷺ بأهله من مصر.

- الهجرة من دار الخوف إلى دار الأمن: كما فعل الصحابة ﷺ عندما هاجروا من مكة إلى الحبشة.

- وهناك قسم خامس وهي ما تسمى بدار العدل: وهي الدار التي لا يظلم فيها أحد، بغض النظر عن التحاكم إلى الشريعة الإسلامية، مثل ديار الغرب، ودليل من يقول بهذا القول: قصة النجاشي في إيوائه لصحابة رسول الله ﷺ، وأنه لا يظلم عنده أحد، وهذا القول ضعيف عندي لوجوه:

١) أنه لا يوجد دار غيرها تأوي الصحابة.
٢) أنه حصل هذا الأمر في أول الإسلام قبل أن يكتمل التشريع.
٣) أن الله تعالى لم يأمر النبي ﷺ بالهجرة إليها، بل أمره بالهجرة إلى المدينة.
٤) أن النجاشي كان مسلماً، ولم يظهر إسلامه.
٥) أن النجاشي آوى الصحابة نصرةً للعقيدة وموالاة للمسلمين، فكيف ينطبق هذا على كفار أهل هذا الزمان؟
٦) وتسميتها بدار العدل فيه نوع من المغالطة، كيف تسمى بدار عدل وفيها أعظم الظلم وهو الشرك بالله، كيف تسمى بدار عدل وتسْلم فيها الأبدان، وتَفْسُد فيها الأديان.

❖ مسألة: ماهي أقسام الدور؟

الجواب: الدور تطلق على الدول والبلدان، وجمهور العلماء أنها تنقسم إلى قسمين:

- **دار كفر.**
- **ودار إسلام.**

ويتفرع منها فروع كثيرة لا حصر لها، والقاعدة في ذلك كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «أحوال البلاد كأحوال العباد»، فمن العباد من هو فاجر، ومنهم من هو صادق، ومنهم من هو مؤمن، ومنهم من هو في لحظة مؤمن؛ وفي لحظة كافر، لكن هناك دور تترتب عليها أحكام عقدية ينبغي لطالب العلم أن يعرفها، وهي على سبيل الاجتهاد لا الحصر:

- دار عهد.
- دار ظلم.

- دار فسق.
- دار إيمان.
- دار عدل.
- دار بغي.
- دار فجور.
- دار أخلاط.
- دار جاهلية.
- دار حرب.
- دار سلم.
- دار أمن.
- دار الذمة.
- دار بدع.

وهذه الدور لكل واحد منها أحكام شرعية مستقلة. يعرفها العلماء المختصين بمثل هذه المسائل.

❖ مسألة: بماذا تُعرَف دار الإسلام؟

الجواب: اختلف العلماء في ذلك إلى أربعة أقسام مشهورة:

- تعرف بجريان الأحكام والحكومة فيها، وبهذا قال عامة العلماء، مثل ابن حزم، وأبو يعلى الحنبلي، وابن تيمية، والمرداوي، وابن قدامة، وابن مفلح، والسرخسي، والشيخ العلامة محمد بن إبراهيم، وجمهور الحنابلة والشافعية، بل جعلوا مناط الحكم على الدار هو نوع الأحكام المطبقة فيها.
- يناط بالشعب والرعية، وهذا القول ضعيف جداً، لأن الشعب كل واحد مكلّف بنفسه، ليس مكلفاً بغيره، والله يقول:

﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [سورة الأنعام:١١٦]، ولم يعرف على مرّ التاريخ أن الشعب يحكم الشعب، إلا بعد حضارة اليونان، وهو ما يسمى اليوم بالديمقراطية، والديمقراطية لا يمكن أن تجتمع مع الإسلام، قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ﴾ [سورة الأنعام:٥٧]، والديمقراطية حكم لغير الله، وقد اختلف رجلان، أحدهم مسلم والآخر يهودي، فقال اليهودي: إلى من نتحاكم، إلى الإسلام؟ فقال المسلم: لا، نتحاكم إلى رجل من قريش، فذهبا إلى عمر ﷺ فأخبره بما حصل بينهما، فقام عمر ﷺ وعمد إلى السيف وضرب به عنق المسلم، لأن اليهودي قبل التحاكم إلى الإسلام، والمسلم لم يقبل التحاكم إلى الإسلام.

- يناط بالمكان والمجاورة، وهذا أضعف من الذي قبله.
- كل ما فتحه المسلمون، وهذا أضعف قول على الإطلاق.

❖ مسألة: ماهي دار الكفر؟

الجواب: تنقسم إلى قسمين:

- دار الأصل فيها وفي أحكامها **الكفر**: ولا علاقة لهم بالإسلام، لا من قريب ولا من بعيد، مثل: ديار النصارى واليهود والمشركين.
- قسم يحكمون بالقوانين اليونانية والفرنسية، ويحاربون الإسلام، فيقال: حكمهم حكم الذي قبلهم، ولا يدخل في هذا الشعب لأنه، قد يكون مسلماً والنظام الذي يحكمه لا يطبق الإسلام.

وديار الكفر تنقسم إلى قسمين:

- دار حرب: وتسمى دار جهاد ورباط، وأهلها حربيين.
- دار معاهدة أو مهادنة: وهؤلاء لا يجوز حربهم أو مقاتلتهم.

❖ **مسألة: ما هو الدليل على هذا التقسيم وهذه المسألة؟**

الـــجواب: أن التقسيم والتسمية بالنسبة للإضافة، فنقول ديار إسلام؛ لأنـــها أضيفت للإسلام، ونقول ديار كفر؛ لأنـها أضيفت إلـى الكفر، فنقول ديار إسلام؛ لأنـها تـحكم بالإسلام، ونقول ديار كفر؛ لأنها تحكم بالكفر، وتسميتها ناشئة عن ما تلبّس به أهل هذه البلد، ففي زمن أبـي بكر الصديق ﷺ نشأت أحكام أهل الردة، وفـي زمن علي ﷺ نشأت أحكام الدور، مثل: حروراء، قال شـــيخ الإســـلام ابن تيمية ﷺ: «أحوال البلاد كأحوال العباد»، فيكون الرجل تارةً مسلماً وتارةً كافراً.

❖ **مسألة: إذا كان فـــي بلاد الكفر من هو قادر على إظهار دينه، هل تـــجب عليه الهجرة؟**

الـجواب: من يستطيع أن يظهر دينه كاملاً لا ينقص منه شيء، فتستحبّ له الـهجرة، وهو اختيار الإمام ابن قدامة الـــمقدسي، وشيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ، وجـــمع من العلماء المحققين.

❖ **مسألة: ما هو ضابط إظهار الدين؟**

الـــجواب: أن يستطيع أن يؤمن بالله، ويعلن ذلك بالنفي والإثبات، ويظهر الكفر بكل ما يعبد من دون الله، ويعلن ذلك، ويأتي بأركان الإسلام الخمسة ويدعو إليها، فإن لم يستطع ذلك وجب عليه أن يهاجر.

❖ **مسألة: هل بلاد البدع التـــي فيها البدع والـــمعاصي ظاهرة كَسبّ الصحابة يهاجر منها؟**

الـجواب: نقل ابن العربـي الـمالكي فـي كتابه «أحكام القرآن» عن الإمام مالك ﷺ قال: «لا يـحل لأحد أن يقيم ببلد سب فيها الصحابة ﷺ»، وقد هاجر الإمام الـخرقي الـحنبلي من بغداد لـما كثر فيها سب الصحابة ﷺ، وهذا آكد في حق العلماء، لأن في بقائهم ﷺ

نوع من التشريع للبدعة، إلا من في بقائه مصلحة خاصة بالمسلمين، كبقاء العباس ابن عبد المطلب في مكة وكان على إسلامه.

❖ مسألة: ما هي دار أهل الذمة؟

الجواب: هي التي تحت حكم الإسلام، لأنها تحكم بأحكام أهل الإسلام، وهو اختيار عامة العلماء كالإمام البخاري، وابن حزم ﷺ، وغيرهم.

❖ مسألة: دار كانت تحكم بالإسلام، وغالبية الشعب مسلم، ثم دار عليها الزمان وحكم المسلمون فيها بحكم مخالف للإسلام؟

الجواب: هناك من أهل العلم من قال بأنها بلاد إسلام، لأن العبرة بالشعب، وهذا خلاف ما عليه العلماء، ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﷺ في الدرر السنية في بني عبد القداح عندما ملكوا المغرب ومصر والشام وحكموا بشرع الله، ثم أظهروا شيء من الشرك ومخالفة شرع الله، فأجمع أهل العلم على كفرهم، وأن دارهم دار حرب، مع احتجاجهم بأنهم يحكمون شرع الله [1]، وبمثل هذا القول قال الإمام الذهبي ﷺ.

❖ مسألة: هل لكل أحد أن يتحدث في مثل هذه المسائل؟

الجواب من ثلاثة أوجه:

- لا يتحدث في مثل هذه المسائل الكبار إلا العلماء الربانيين الراسخين في العلم والمجتهدين الذين تجردوا عن الهوى واتضحت لهم المناطات الشرعية.
- هناك مسائل معلومة ومعروفة في مثل هذه القضايا، وهناك مسائل خفية لأهل العلم أن ينظروا فيها.
- وفي هذه المسائل كثير من المتشابهات، والحقوق الشرعية المركبة، والتي تحتاج إلى كثير من الصبر والتدقيق والتأني.

---

(١) انظر: الدرر السنية «٣٩٣/٩».

❖ **مسألة: بما أنها بهذه الصعوبة؛ لماذا تُذكر وتُعلَّم؟**

الـجواب: هذه الـمسألة كعامة مسائل الشريعة، فيها مسائل ظاهرة ومعروفة، ولا يـجهلها أحد، وفيها مسائل خفية يسأل فيها أهل العلم، ولها نوازل يتولاها العلماء الراسخين.

قال المصنف ﷺ: «**وقوله تعالى**: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [سورة العنكبوت:٥٦]، **قال البغوي** ﷺ: «**سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين بمكة لم يهاجروا، ناداهم الله باسم الإيمان**»»: هذا الأثر عن البغوي ﷺ جاء به المصنف ﷺ بالمعنى.

فلما استقر بالـــمدينة، أمر ببقية شرائع الإسلام، مثل: الزكاة، والصوم، والـــحج، والأذان، والـجهاد، والأمر بالـمعروف، والنهي عن الـمنكر، أخذ على هذا عشر سنيـن. وتوفـي ﷺ ودينه باق، وهذا دينه، لا خير إلا دل عليه، ولا شر إلا حذرها منه. والخير الذي دل عليه: التوحيد، وجـميع ما يـحبه الله ويرضاه، والشر الذي حذر منه: الشرك، وجـميع ما يكرهه الله ويأباه. بعثه الله إلا الناس كافة، وافتـرض طاعته على جـميع الثقليـن الـجن والإنس، والدليل قوله تعالـى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [سورة الأعراف:١٥٨]، وأكمل الله به الدين، والدليل قوله تعالـى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [سورة المائدة:٣]. والدليل على موته ﷺ: قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة الزمر:٣٠-٣١]. والناس إذا ماتوا يبعثون، والدليل قوله تعالـــى: ﴿* مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [سورة طه:٥٥]، وقوله تعالـى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [سورة نوح:١٧-١٨]، وبعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم، والدليل قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾ [سـورة النجم:٣١]، ومن كذّب بالبعث كفر، والدليل قوله تعالـــى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [سورة التغابن:٧]. وأرسل الله جـــميع الرسل مبشرين ومنذرين، والدليل قوله تعالـــى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ﴾ [سورة النساء:١٦٥]، وأولـهم: نوح ﷺ، وآخرهم: مـحمد ﷺ، وهو خاتـم النبيين لا نبـي بعده، والدليل قوله تعالـى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ﴾ [سورة الأحزاب:٤٠]، والدليل على أن أولهم نوح: قوله تعالى: ﴿* إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ﴾ [سورة النساء:١٦٣]. وكل أمة بعثه الله إليها رسولاً، من نوح إلـى مـحمد، يأمرهم بعبادة الله وحده، وينهاهم عن عبادة الطاغوت، والدليل قوله تعالـى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ۖ﴾ [سورة النحل:٣٦].

قال المصنف ﷺ: «**والناس إذا ماتوا يبعثون، والدليل قوله تعالى**: ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [سورة طه:٥٥]، **وقوله تعالى**: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [سورة نوح:١٧-١٨]»: قوله: «**والناس إذا ماتوا يبعثون**»: فيه بيان مسألة عقدية، وهي عقيدة البعث والنشور التي أنكرها كفار قريش، قال تعالى: ﴿قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة المؤمنون:٨٢]، وأنكرها الملاحدة، وهو أمر مقطوع به، ولابد من وقوعه، ومن أنكره كفر.

قال المصنف ﷺ: «**وكل أمة بَعث الله إليها رسولا من نوح إلى محمد ﷺ يأمرهم بعبادة الله وحده وينهاهم عن عبادة الطاغوت والدليل: قوله تعالى**: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [سورة النحل:٣٦]»: **الطاغوت**: مأخوذ من الطغيان، وهو الزيادة عن القدر المعتاد، وهو كل ما عبد من دون الله وهو راضٍ، وهذا تعريف جمهور اللغويين كما قال بذلك أبو عبيد، والكسائي، والواحدي، ويأتي مذكّراً ومؤنّثاً، واصطلاحاً: قال الإمام ابن القيم ﷺ: «هو كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع».

حكمه: فرض عين على كل مسلم الكفر به.

وحكم الطاغوت: الكفر، قال تعالى: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ [سورة الممتحنة:٤]، وقال تعالى:

﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [سورة البقرة:٢٥٦].

أنواعه: قال الإمام سليمان بن سحمان ﷺ: «وحاصله أن الطاغوت ثلاثة أنواع:

- طاغوت حكم.
- طاغوت عبادة.

طاغوت طاعة ومتابعة» [1].

❖ مسألة: كيف يكون الكفر بالطاغوت؟

الجواب: قال الإمام محمد بن عبد الوهاب ﷺ: «فأما صفة الكفر بالطاغوت:

- أن تعتقد بطلان عبادة غير الله.
- وتتركها.
- وتبغضها.
- وتكفّر أهلها.
- وتعاديهم» [2].

(١) انظر: الدرر السنية: «٥٠٣/١٠».

(٢) الدرر السنية: «١٦١/١».

وافترض الله على جميع العباد: الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله. قال ابن القيم ﷺ: «معنى الطاغوت: ما تجاوز به العبد حده، من معبود، أو متبوع، أو مطاع».

والطواغيت كثيرة، ورؤوسهم خمسة: إبليس لعنه الله، ومن عبد وهو راض، ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه، ومن ادعى علم الغيب، ومن حكم بغير ما أنزل الله.

والدليل: قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾ [سورة البقرة:٢٥٦]، وهذا معنى لا إله إلا لله، وفي الحديث: «**رأس الأمر: الإسلام، وعموده: الصلاة، وذروة سنامه: الجهاد في سبيل الله**» (١). والله أعلم.

تم بحمد لله.

قال المصنف ﷺ: «**وافترض الله على جميع العباد: الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله. قال ابن القيم** ﷺ: «**معنى الطاغوت: هو كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع**»، **والطواغيت كثيرةٌ، ورؤوسهم خمسة : إبليس –لعنه الله–، ومن عبد وهو راض**»: والصحيح أن يقال: «من عبد من دون الله وهو راض»، ولكن لعلها سقطت من الناسخ ولم تسقط من الراسخ، والرضى: هو ضابط الحكم على الطاغوت بأنه طاغوت.

قال المصنف ﷺ: «**ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه، ومن حكم بغير ما أنزل الله، والدليل قوله تعالى**: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾ [سورة البقرة:٢٥٦]،

---

(١) أخرجه الترمذي ﷺ في سننه، في كتاب الإيمان عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في حرمة الصلاة، «٢٦١٦» قال الشيخ الألباني ﷺ: صحيح.

وهذا معنى «لا إله إلا الله»: قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَيُؤْمِنُۢ بِٱللَّهِ﴾، «أي: يعتقد أن الله هو الإله المعبود وحده دون ما سواه، وتخْلص جميع أنواع العبادة كلها لله، وتنفيها عن كل معبود سواه، وتحب أهل الإخلاص وتواليهم، وتبغض أهل الشرك وتعاديهم، وهذه ملة إبراهيم التي سفه نفسه من رغب عنها، قال تعالى: ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ﴾ [سورة البقرة:١٣٠]» [(١)].

قال المصنف ﷺ: «**وفي الحديث: «رأس الأمر: الإسلام، وعموده: الصلاة، وذروة سنامه: الجهاد في سبيل الله»** [(٢)]»: **الجهاد**: مأخوذ من بذل الجهد، وفي **الاصطلاح**: هو بذل النفس لإعلاء كلمة الله.

والجهاد يكون: **بالسِّنان، واللسان، والمال**، وهو «**ذروة سنام الإسلام**» [(٣)]، كما قال ﷺ، وهو باقٍ إلى قيام الساعة، ولا عز لهذه الأمة إلا بالجهاد في سبيل الله.

والجهاد ينقسم إلى قسمين:

- **الأول**: جهاد النفس والهوى والشيطان، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [سورة العنكبوت:٦٩]، وهذا إنما يكون **بالمشارطة، ثم المراقبة، ثم المحاسبة، ثم المعاقبة، ثم المجاهدة، ثم المعاينة، ثم المكافأة.** وقد شرحها ابن القيم ﷺ في مدارج السالكين.
- **الثاني**: جهاد الكفار وقتالهم، قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ٨٦﴾ [سورة التوبة:٨٦].

---

(١) الدرر السنية.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه الترمذي ﷺ في سننه، في كتاب الإيمان عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في حرمة الصلاة، «٢٦١٦» قال الشيخ الألباني ﷺ: صحيح.

وينقسم جهاد الكفار وقتالهم إلى قسمين:

- القسم الأول: جهاد طلب.
- القسم الثاني: جهاد دفع.

ولكل واحد منهما مسائل وأحكام:

فالمراد بجهاد الطلب: هو طلب العدو والذهاب إليه في داره، وحكمه: فرض كفاية، ويشترط فيه: وجود الراية، وبيضة المسلمين، وإذن الوالدين.

ويطالب الكفار أولاً بالإسلام، فإن هم أبوْا؛ فالجزية، فإن لم يكن لديهم ما يدفعون به الجزية واستسلموا ولم يُسلموا؛ دخلوا في أهل الذمة، وإن كان لديهم وامتنعوا؛ قوتلوا.

والمراد بجهاد الدفع: هو دفع العدو الصائل الذي اعتدى على دار المسلمين، وحكمه: فرض عين على أهل البلد الذي هجم عليه العدو، فإن لم يُدفع العدو؛ انتقل الحكم إلى البلد الذي بجواره، حتى يطبق على أهل الأرض بمن فيها، ولا يشترط فيه وجود الراية، ولا بيضة المسلمين، ولا إذن الوالدين.

- تم والحمد لله -

فهرس الموضوعات

المقدمة..... ١
مسألة: ما الفرق بين التوحيد والعقيدة؟..... ٥
مسألة: هل متن الأصول الثلاثة مشتمل على أصول الدين، ومن قرأه لا يحتاج إلى غيره.. ٦
مدخل الأصول الثلاثة..... ١٠
تسمية الأصول الثلاثة..... ١٣
الأصول الثلاثة..... ١٤
مسألة: هل يجب على كل الناس تعلم مسائل العقيدة بالأدلة؟..... ٢٢
المسألة الأولى..... ٣٣
مسألة: هل يوجد في توحيد الربوبية شرك أكبر وأصغر؟..... ٣٦
مسألة: هل يقال أتاني رازقي أو من يرزقني؟..... ٣٨
المسألة الثانية..... ٤٤
المسألة الثالثة..... ٤٧
الولاء..... ٤٨
مسألة: اختلف العلماء أيضًا في الموالاة والتولي، هل هما شيء واحد أم بينهم اختلاف؟..... ٤٩
مسألة: من الذي تجب له الموالاة؟..... ٥٠
مسألة: هل تجب موالاة جواري وعبيد ومجانين المؤمنين؟..... ٥٠
البراء..... ٥٢
مسألة: ما يستثنى من التعامل مع الكفار؟..... ٥٦
مسألة: ما الفرق بين المداهنة، والمهادنة، والمداراة؟..... ٥٨
مسألة: هل يجوز أن تقول أنا على عقيدة إبراهيم عليه السلام أو عقيدة أبي بكر وعمر، أو أحداً من العلماء؟..... ٦١

الأصل الأول.....٦٥
مسألة: ما حكم التسمي باسم المربّي؟.....٦٦
مسألة: ما هي مشروعية طرح مثل هذه الأسئلة على الناس؟.....٧٢
مسألة: ما الفرق بين العبادة وتوحيد العبادة؟.....٨٣
مسألة: ما الفرق بين العبادة والطاعة؟.....٨٤
مسألة: اختلف العلماء ﷺ أيّهم أعمّ: العبادة أم الدعاء؟.....٨٤
مسألة: ما الفرق ما بين دعاء المسألة ودعاء العبادة؟.....٨٤
مسألة: متى يكون الدعاء شركاً؟.....٨٥
مسألة: متى يكون الدعاء بدعيّا؟.....٨٥
مسألة: ما حكم نداء الجن؟.....٨٥
مسألة: ما هي صفة الدعاء الشرعي؟.....٨٦
مسألة: المواطن والأحوال التي يُرجى فيها استجابة الدعاء.....٨٧
مسألة: ما حكم الدعاء على المسلم؟.....٨٩
مسألة: حكم الدعاء على جميع الكفار؟.....٩٠
مسألة: ما حكم دعاء الأموات كقول: وا معتصماه! أو قول: أين أنت يا عمر؟.....٩٠
مسألة: ما حكم من يقول خاف من الله، وخاف ممن لا يخاف الله؟.....٩٢
مسألة: ما حكم من يترك طاعة الله خشية الناس أو سخريتهم؟.....٩٢
مسألة: ما حكم من ترك كثيراً من الطاعات خشية خسارة شيء من دنياه، أو ضياع بعض من أغراضه ومآربه الشخصية؟.....٩٣
مسألة: العلماء المحققون في مسائل العقيدة يطلقون على أمور الاحتياط بالحذر، ولا يطلقون مصطلح الخوف.....٩٣
مسألة: ما هو الفرق بين الدعاء والرجاء؟.....٩٤
مسألة: ما هو الفرق بين الرجاء والتمني؟.....٩٤
مسألة: ما حكم قول: توكلت على الله ثم عليك؟.....٩٥
مسألة: ما حكم قول: كن واثقاً من نفسك، أو: تجب الثقة بالنفس؟.....٩٦

مسألة: هل هنالك فرق بين الوكالة والتوكل؟.....٩٨
مسألة: ما الفرق ما بين الرغبة والرجاء؟.....٩٨
مسألة: ما الفرق بين الرهبة والخوف؟.....٩٨
مسألة: ما الفرق ما بين الرهبة والخشية؟.....٩٩
مسألة: هل يجوز أن يقال: أنا أخشى فلاناً؟.....١٠٠
مسألة: ما الفرق ما بين الإنابة والتوبة؟.....١٠١
مسألة: هل يكون في الذبح شرك أكبر وشرك أصغر؟.....١٠٣
مسألة: ما وجه إدخال النذر في أمور العقيدة؟.....١٠٤
مسألة: هل هذه العبادات التي ذكرها المصنف ﷺ تفيد الحصر؟.....١٠٥
مسألة: هل يجب الإتيان بهذه العبادات التي ذكرها الشيخ؟.....١٠٥
مسألة: لماذا ذكر الشيخ ﷺ هذه العبادات في أصل يتكلم فيه عن معرفة الرب؟.....١٠٦
الأصل الثاني.....١٠٨
المرتبة الأولى: الإسلام.....١١١
المرتبة الثانية: الإيمان.....١١٩
المرتبة الثالثة: الإحسان.....١٢٤
مسألة: هل هذه تفيد الحصر، أم هناك أركان أخرى غيرها؟.....١٢٥
الأصل الثالث.....١٢٦
مسألة: ماهي أقسام الدور؟.....١٢٩
مسألة: بماذا تُعرَف دار الإسلام؟.....١٣٠
مسألة: ما هي دار الكفر؟.....١٣١
مسألة: ما هو الدليل على هذا التقسيم وهذه المسألة؟.....١٣٢
مسألة: إذا كان في بلاد الكفر من هو قادر على إظهار دينه، هل تجب عليه الهجرة؟.....١٣٢
مسألة: ما هو ضابط إظهار الدين؟.....١٣٢

مسألة: هل بلاد البدع التي فيها البدع والمعاصي ظاهرة كَسبّ الصحابة يهاجر منها؟.١٣٢
مسألة: ما هي دار أهل الذمة؟.....١٣٣
مسألة: دار كانت تــحكم بالإسلام، وغالبية الشعب مسلمون، ثــم دار عليها الزمان وحكم المسلمون فيها بحكم مخالف للإسلام؟.....١٣٣
مسألة: هل لكل أحد أن يتحدث في مثل هذه المسائل؟.....١٣٣
مسألة: بما أنها بهذه الصعوبة؛ لماذا تُذكر وتُعلَّم؟.....١٣٤
مسألة: كيف يكون الكفر بالطاغوت؟.....١٣٧
فهرس الموضوعات.....١٤١